

الأدب العالمي للناشئين

شارة الشجاعة الحمراء



ستيفن كرين

شارة الشجاعة الحمراء

شارة الشجاعة الحمراء

تأليف
ستيفن كرين

ترجمة
نهير محمد

مراجعة
شيماء عبد الحكيم طه



الطبعة الأولى ٢٠١٣ م

رقم إيداع ٢٠١٣/١٤٢٤١

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

كرين، ستيفن.

شارة الشجاعة الحمراء/تأليف ستيفن كرين.

تمدك: ٩ ٢٣٩ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص الإنجليزية

أ- العنوان

رسم الغلاف: ورود مصطفى، تصميم الغلاف: صفاء حامد.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية،
ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة
نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

المحتويات

٩	١- شَائِعَةُ قِتَالٍ
١٣	٢- مَخَاوِفُ هَنْرِي
١٥	٣- جِوَارٌ مَعَ صَدِيقٍ
١٧	٤- رِسَالَةٌ مِنْ وَيْلِسُون
٢١	٥- وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ
٢٣	٦- الطَّلَقَةُ الْأُولَى
٢٥	٧- وَأَخِيرًا الْقِتَالُ
٢٧	٨- فِرَارُ الرِّجَالِ
٣١	٩- رَجُلُ الْغَابَةِ
٣٥	١٠- صَاحِبُ الثِّيَابِ الرَّثِيَّةِ
٣٩	١١- جِيمُ كُونِكِن
٤٣	١٢- سُؤَالُ الْجُنْدِيِّ رَثِّ الثِّيَابِ
٤٧	١٣- فُرْصَةٌ ثَانِيَةٌ لِلانْضِمَامِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ
٥١	١٤- إِصَابَةُ حَرْبٍ
٥٣	١٥- غَرِيبٌ يُقَدِّمُ الْعَوْنَ
٥٥	١٦- الْعُودَةُ إِلَى الْمَعْسَكِ
٥٩	١٧- شِجَارٌ دَاخِلَ الْمَعْسَكِ
٦٣	١٨- الْخُطَابُ
٦٥	١٩- التَّحْرُكُ

شارة الشجاعة الحمراء

- ٦٩ - ٢٠- بَطَلٌ حَقِيقِيٌّ
٧٣ - ٢١- جَوَارٌ
٧٧ - ٢٢- عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْحَقْلِ
٨١ - ٢٣- الرَّايَةُ
٨٣ - ٢٤- انْتَصَارٌ مُوقَّتٌ
٨٥ - ٢٥- رَأْيُ الْجِنْرَالِ
٨٧ - ٢٦- الْجِنْرَالَاتُ
٨٩ - ٢٧- الْهُجُومُ الثَّانِي
٩١ - ٢٨- الْجَانِبُ الْآخِرُ مِنَ السُّورِ
٩٣ - ٢٩- انْتِزَاعُ الرَّايَةِ
٩٥ - ٣٠- بَدَايَةُ جَدِيدَةٍ

مِنْ أَحْدَاثِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ

الفصل الأول

شَاعِعَةُ قِتَالٍ

اِحْتَفَى الْبُرْدُ شَيْئًا فَشَيْئًا عَنْ سَطْحِ الْأَرْضِ، وَكَشَفَ الضَّبَابُ الْمُنْقَشِعُ عَنْ جَيْشِ يَرْتَدِي جُنُودَهُ الرَّيِّ الْأَزْرَقَ وَيَسْتَرِيحُونَ فَوْقَ التَّلَالِ. عِنْدَمَا اسْتَيْقَطَ الْجُنُودُ اسْتَطَاعُوا رُؤْيَةَ الْمَزِيدِ مِنَ الطَّرِيقِ الْمُوحِلَةِ وَالنَّهْرِ، ذَهَبَ جُنْدِيٌّ طَوِيلُ الْقَامَةِ لِيَغْسِلَ قَمِيصَهُ، ثُمَّ عَادَ مَهْرُولًا لِيَنْشُرَ خَبْرًا قَدْ سَمِعَهُ.

قَالَ الْجُنْدِيُّ: «سَوْفَ نَتَحَرَّكَ غَدًا، سَتَتَحَرَّكَ نَحْوَ أَعْلَى النَّهْرِ، ثُمَّ نَعْبُرُهُ وَنَلْتَفُّ مِنْ خَلْفِهِمْ.»

قَالَ جُنْدِيٌّ آخَرَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «لَا أُصَدِّقُ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَعَدَدْتُ لِلتَّحَرُّكِ ثَمَانِي مَرَّاتٍ فِي الْأُسْبُوعَيْنِ الْمَاضِيَيْنِ، وَلَمْ نَتَحَرَّكَ بَعْدُ.»

وَبَيْنَمَا وَاصَلَ الرَّجَالُ نِقَاشَهُمْ حَوْلَ مَا إِذَا كَانُوا سَيَتَحَرَّكُونَ الْيَوْمَ التَّالِيَّ أَمْ لَا، ذَهَبَ جُنْدِيٌّ شَابٌّ يُدْعَى هِنْرِي فليمنج إلى كُوخِهِ لِيَخْلُوَ إِلَى نَفْسِهِ وَيَفْكِّرَ. أَذْهَلَهُ التَّفَكِيرُ فِي اِحْتِمَالِ نَشُوبِ الْقِتَالِ قَرِيبًا، وَأَنَّهُ سَيُشَارِكُ فِيهِ! سَيَكُونُ وَاحِدًا مِنْ أَهْمِ الْأَحْدَاثِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

كَانَ هِنْرِي يَحْلُمُ طَوَالَ حَيَاتِهِ بِالْمَعَارِكِ وَيَأْنُ يُصْبِحَ بَطَلًا، لَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ أَنَّهُ سَيُشَارِكُ فِعْلِيًّا فِي الْحَرْبِ. هُنَالِكَ فِي وَطْنِهِ، لَمْ يَكُنْ يُصَدِّقُ أَنَّ الْحَرْبَ حَقِيقِيَّةً، بَلْ ظَنَّ أَنَّ الْبَشَرَ قَدْ أَصْبَحُوا أَفْضَلَ حَالًا الْآنَ، أَوْ عَلَى الْأَقْلُ أَكْثَرَ مِيلًا إِلَى السَّلْمِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي، وَمُؤَكَّدٌ أَنَّهُمْ لَنْ يَخُوضُوا غَمَارَ الْحَرْبِ. لَكِنَّ حَرْبًا أَهْلِيَّةً كَانَتْ تَشْتَعِلُ الْآنَ بَيْنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، وَتِلْكَ فُرْصَتُهُ لِيُصْبِحَ بَطَلًا.

أَرَادَ هنري الانضمامَ إِلَى صُفُوفِ الْجَيْشِ مَرَاتٍ عَدَّةً، لَكِنَّ وَالِدَتَهُ كَانَتْ تَنْبِيهِ عَن ذَلِكَ، كَانَتْ تَسُوقُ لَهُ مِائَةَ سَبَبٍ لِمَصْرُورَةِ وَجُودِهِ فِي الْمَرْزَعَةِ أَكْثَرَ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ. وَأَخِيرًا، عِنْدَمَا ضَاقَ بِالِانْتِظَارِ ذَرْعًا، ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالتَّحَقَّ بِالْجَيْشِ. وَعِنْدَمَا أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ، قَالَتْ: «فَلْتَكُنْ مَشِيئَةُ الرَّبِّ يَا هنري.»، ثُمَّ وَاصَلَتْ حَلْبَ الْبَقْرَةِ، وَأَضَافَتْ: «أَحْتَرِسُ، وَاعْتَنِ بِنَفْسِكَ. لَا تَطُنْ أَنَّ بِمَقْدُورِكَ هَزِيمَةَ جَيْشِ الْمُتَمَرِّدِينَ كُلِّهِ عَلَى الْفُورِ؛ فَلَسْتَ سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ بَيْنَ كَثِيرِينَ آخَرِينَ.»

طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنَ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَوْ يَفْعَلُونَ أَشْيَاءَ أُخْرَى تَكُونُ سَبَبًا فِي شُعُورِهَا بِالْحُزْيِ مِنْهُ، وَأَضَافَتْ: «لَا أَذْرِي مَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ أَيضًا سِوَى الْأَنَّ تَتَحَلَّى عَن وَاجِبِكَ أَبَدًا بِسَبَبِي. وَإِذَا أَتَى وَقْتُ يَجِبُ أَنْ تَقْتَلَ فِيهِ مِنْ أَجْلِ فِعْلِ الصَّوَابِ، فَلَا تَفَكَّرْ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَا هنري إِلَّا فِي فِعْلِ الصَّوَابِ.»

بَلَغَتْ رُوحَهُ الْمَعْنَوِيَّةُ عَنَانَ السَّمَاءِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى وَاشِنْتِن. كَانَتْ الْكُتَيْبَةُ كُلُّهَا تَلْقَى مُعَامَلَةً حَسَنَةً لِلْعَايَةِ أَثْنَاءَ سَفَرِهِمْ حَتَّى إِنَّهُ شَعَرَ كَمَا لَوْ كَانَ بَطَلًا حَقِيقِيًّا. بَعْدَ الْعَدِيدِ مِنَ الرِّحَلَاتِ الشَّاقَّةِ وَفتراتِ التَّوَقُّفِ الطَّوِيلَةِ، حَلَّتْ شُهُورٌ مِنَ الْحَيَاةِ الْمُضْجِرَةِ دَاخِلَ أَحَدِ الْمُعَسْكَرَاتِ. فِي الْمُعَسْكَرِ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ صِرَاعٍ مَعَ الْمَوْتِ. كُلُّ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ الرَّجَالُ هُوَ مُحَاوَلَةُ الْإِحْتِفَاطِ بِدِفْعِ أَجْسَامِهِمْ وَالْمُواظَبَةَ عَلَى التَّدْرِيبِ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، وَكَانَ كُلُّ مَا يَفَكَّرُ فِيهِ هنري فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هُوَ الْمَعَارِكِ الْقَادِمَةِ.

لَمْ يَهْتَمَّ هنري كَثِيرًا بِطَبِيعَةِ الرَّجَالِ الَّذِينَ سَيَحَارِبُهُمْ؛ إِذْ كَانَتْ هُنَاكَ مُشْكِلةٌ أخطرُ، وَهِيَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّأَكُّدَ أَنَّهُ لَنْ يَفِرَّ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ. لَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّ مَعْرَكَةً سَتَقَعُ حَقًّا، وَهُوَ يَدْرِكُ أَنَّهُ رَبَّمَا يَفِرُّ مِنَ الْمِيدَانِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ فِيمَا يَخُصُّ الْحَرْبَ.

بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، دَخَلَ الْجُنْدِيُّ طَوِيلُ الْقَامَةِ إِلَى كُوخِهِ وَتَبِعَهُ الْجُنْدِيُّ عَالِي الصَّوْتِ الَّذِي كَانَ قَدْ خَالَفَهُ الرَّأْيَ سَابِقًا، وَكَانَا لَا يَزَالَانِ عَلَى خِلَافِهِمَا. كَانَ الْجُنْدِيُّ طَوِيلُ الْقَامَةِ يُسَمَّى جيم كُونكلن، وَالْجُنْدِيُّ عَالِي الصَّوْتِ يُسَمَّى ويلسون.

قَالَ جيم وَهُوَ يَدْخُلُ الْكُوخَ مُلَوِّحًا بِيَدَيْهِ: «هَذَا صَحِيحٌ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَصَدَّقَ ذَلِكَ أَوْ لَا، كُلُّ مَا عَلَيْكَ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ تَجْلِسَ وَتَتَنَظَّرَ. سَتَعْرِفُ عَمَّا قَرِيبٍ أَنَّنِي كُنْتُ مُحَقًّا.»

قَالَ ويلسون: «حَسَنًا، إِنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

رَدَّ جِيمٌ فِي حِدَّةٍ: «لَمْ أَقُلْ إِنِّي أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ». وَبَدَأَ يَجْمَعُ مُتَعَلِّقَاتِهِ دَاخِلَ حَقِيْبَةِ ظَهْرِهِ.

رَاقِبَهُمَا هَنْرِي فِي قَلْبِي، وَفِي النِّهَائِيَةِ سَأَلَ جِيمٌ: «أَمِنَ الْمُؤَكَّدِ إِذْنُ أَتْنَا بِصَدَدٍ إِحْدَى الْمَعَارِكِ يَا جِيمُ؟»

رَدَّ جِيمٌ: «بِالطَّبْعِ، هُنَاكَ مَعْرَكَةٌ، انْتَبِظْ فَقَطْ حَتَّى الْعَدِ، وَسَتَرَى وَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ الْمَعَارِكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. انْتَبِظْ فَحَسْبُ.»

تَحَدَّثَ جِيمٌ عَنِ السَّرَايَا الْأُخْرَى وَعَنِ الْمَعَارِكِ الَّتِي سَمِعَ عَنْهَا، ثُمَّ سَأَلَهُ هَنْرِي عَمَّا قَدْ تَفَعَّلَهُ كَتَيْبَتُهُمَا.

قَالَ جِيمٌ فِي هُدُوءٍ: «أَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيَبْلُونَ بِلَاءً حَسَنًا مَا إِنْ يَحْتَدِمُ الْقِتَالُ. يَسْخَرُ مِنْهُمْ الْجَمِيعُ لِأَنَّهُمْ حَدِيثُو الْعَهْدِ بِالْقِتَالِ، لَكِنَّهُمْ سَيَبْلُونَ بِلَاءً حَسَنًا.»

سَأَلَهُ هَنْرِي: «هَلْ تَظُنُّ أَنَّ أَيًّا مِنْ الصَّبِيَةِ سَيَلُودُ بِالْفِرَارِ؟»

قَالَ جِيمٌ: «رُبَّمَا يُقَدِّمُ قَلِيلُونَ عَلَى ذَلِكَ؛ فَتِلْكَ الْفِئْتَةُ مُوجُودَةٌ فِي كُلِّ كَتَيْبَةٍ، خَاصَّةً عِنْدَمَا يُشَارِكُونَ فِي الْقِتَالِ أَوَّلَ مَرَّةٍ. لَا يُمَكِّنُكَ الْمَرَاهِنَةُ عَلَى شَيْءٍ، لَكِنْ أَعْتَقِدُ أَنََّّهُمْ سَيَقَاتِلُونَ أَفْضَلَ مِنَ الْبَعْضِ وَأَسْوَأَ مِنْ آخَرِينَ.»

سَأَلَهُ هَنْرِي: «هَلْ فَكَّرْتَ أَنَّكَ أَنْتَ نَفْسَكَ رُبَّمَا تَفِرُّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ يَا جِيمُ؟» ثُمَّ ضَحِكَ كَمَا لَوْ كَانَ يَمْزَحُ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يُغْضِبَ صَدِيقَهُ.

قَالَ جِيمٌ: «حَسَنًا، فَكَّرْتُ فِي أَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدْ تَحْتَدِمُ كَثِيرًا، وَإِذَا فَرَّ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْفِئْتَةِ، فَسَافِرُ أَنَا الْآخَرُ، وَعِنْدَمَا أَفْعَلُ، سَاجِرِي بِأَقْصَى قُوَّتِي. لَكِنْ إِذَا صَمَدَ الْجَمِيعُ وَقَاتَلُوا، فَسَوْفَ أَصْمُدُ وَأَقَاتِلُ. أَرَاهِنُ عَلَى ذَلِكَ.»

شَعَرَ هَنْرِي بِالسَّعَادَةِ لِسَمَاعِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَقَدْ ظَنَّ أَنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الْآخَرِينَ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُونَ الْخُبْرَةَ يَثْقُونَ بِأَنْفُسِهِمْ تَمَامَ الثَّقَةِ، أَمَّا الْآنَ وَبَعْدَ أَنْ عَرَفَ الْحَقِيقَةَ، شَعَرَ بِأَنَّهُ فِي حَالٍ أَفْضَلَ قَلِيلًا.

الفصل الثاني

مَخَافُ هِنْرِي

فِي الصَّبَاحِ التَّالِي، اِكْتَشَفَ هِنْرِي أَنَّ جِيْمَ كَانَ مُخْطِئًا؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قِتَالٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ. سَخِرَ كَثِيرٌ مِنَ الرَّجَالِ الْآخَرِينَ مِنْ جِيْمِ، حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ فِي عِرَاكِ بِالْأَيْدِي مَعَ رَجُلٍ مِنْ «تَشَاتْفِيلِد كُورنرِنز». تَسَاجَرَ وَيَلْسُونُ — الْجُنْدِيُّ عَالِي الصَّوْتِ — هُوَ الْآخَرُ، وَكَانَ عَلَى الْمَلَازِمِ فُضَّ ذَلِكَ الشُّجَارِ. فِي غُضُونِ ذَلِكَ، كَانَ هِنْرِي لَا يَزَالُ غَيْرَ وَاثِقٍ مِنْ نَفْسِهِ.

ظَلَّ هِنْرِي أَيَّامًا يُفَكِّرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. كَانَ لَا يَزَالُ قَلِقًا مِنْ أَنَّهُ سَيَفِرُّ مَعَ أَوَّلِ بَادِرَةٍ لِلْقِتَالِ. وَأَخِيرًا قَرَّرَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِإِثْبَاتِ قُدْرَاتِهِ هِيَ دُخُولُ سَاحَةِ الْوَعَى. عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَظِرَ لِيَرَى هَلْ سَيَحَارِبُ حَقًّا أَمْ لَا؛ لِذَلِكَ، ظَلَّ يَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ، وَحَاوَلَ أَنْ يُقَارِنَ نَفْسَهُ بِرِفَاقِهِ.

شَعَرَ هِنْرِي أَنَّ حَالَهُ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ عِنْدَمَا نَظَرَ إِلَى جِيْمِ الَّذِي لَمْ تَبْدُ عَلَيْهِ أَيُّ أَمَارَةٍ لِلْقَلَقِ، وَالَّذِي بَدَأَ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ، وَكَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يُفَوِّقُ قُدْرَاتِهِ. عِنْدَمَا تَأَمَّلَ هِنْرِي حَالَ الْجُنُودِ الْآخَرِينَ، كَانَ يَظُنُّ أحيانًا أَنَّهُمْ جَمِيعًا أَبْطَالٌ. مُوَكَّدٌ أَنَّهُمْ جَمِيعًا أَفْضَلُ مِمَّا قَدْ يَأْمَلُ هُوَ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ. لَكِنْ أحيانًا أُخْرَى كَانَ يَجِدُهُمْ قَلِقِينَ وَمُتَرَدِّدِينَ مِثْلَهُ تَمَامًا. فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، كَانَ هِنْرِي يَقِفُ بِصُحْبَةِ أَفْرَادِ كَتِيبَتِهِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَهَامَسُونَ وَيُخَبِّرُ أَحَدُهُمُ الْآخَرَ مُجَدِّدًا بِالشَّائِعَاتِ الْقَدِيمَةِ. كَانُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ الْقِتَالَ أَصْبَحَ وَشِيكًا. وَفِي الظُّلْمَةِ الَّتِي تَسْبِقُ طُلُوعَ النَّهَارِ، كَانَ لِبَاسُهُمُ الْعَسْكَرِيُّ يَتَوَهَّجُ بِاللَّوْنِ الْأَزْرَقِ الدَّاكِنِ. كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى وَشِكِ السُّطُوعِ حِينَمَا لَاحَ الْبُنْيَانُ الضَّخْمُ لِلْعَقِيدِ عَلَى جَوَادِهِ. وَقَفَتِ الْكُتَيْبَةُ وَقْتًا بَدَأَ طَوِيلًا، حَتَّى أَخَذَ صَبْرُ هِنْرِي يَنْفَدُ.

أخيراً، اتَّجَهَ نَحْوَهُمْ رَجُلٌ آخَرَ عَلَى صَهْوَةٍ جَوَادِهِ، حَاوَلَ الْجُنُودَ الْقَرِيبُونَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَرَفِقُوا السَّمْعَ لِحَدِيثِهِ مَعَ الْعَقِيدِ. وَبَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقٍ، اسْتَدَارَ الرَّجُلُ الثَّانِي بِجَوَادِهِ، وَابْتَعَدَ. وَفِي اللَّحْظَةِ الثَّالِيَةِ، بَدَأَ الْجُنُودُ فِي السَّيْرِ وَسَطَ الظَّلَامِ. بَدَتِ الْكَتِيبَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَشْبَهَ بِوَحْشٍ مُتَحَرِّكٍ ذِي أَقْدَامٍ عَدِيدَةٍ. كَانَ الْهَوَاءُ بَارِداً وَمُعَبَّأً بِالنَّدَى، وَكَانَ الْعُشْبُ الْمُبَلَّلُ بِالنَّدَى يُصْدِرُ حَفِيفًا كَالْحَرِيرِ كُلَّمَا وَطِئَهُ الْجُنُودُ.

أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَرَأَى هِنْرِي رَتَلَيْنِ طَوِيلَيْنِ أَسْوَدَيْنِ مُكْتَظَّيْنِ بِالْجُنُودِ. اخْتَفَى الرَّتَلَانِ فَوْقَ تَلٍّ أَمَامَهُمْ، وَتَوَارَيَا عَنِ الْأَنْظَارِ فِي الْعَابَاتِ خَلْفَهُمْ. كَانَا صَفَّيْنِ مِنَ الرَّجَالِ يَسِيرُونَ إِلَى أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، لَكِنَّهُمَا بَدَا كَنُغْبَانَيْنِ يَرْحَفَانِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ.

لَمْ يَكُنِ النَّهْرُ ظَاهِرًا فِي الرُّؤْيَى، وَوَأَصَلَ الْجُنُودُ نِزَاعَهُمْ حَوْلَ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الْخَطُّطُ. لَمْ يَشَارِكْ هِنْرِي فِي تِلْكَ النَّزَاعَاتِ، بَلْ ظَلَّ يَسْأَلُ نَفْسَهُ أَتْنَاءَ سَيْرِهِ هَلْ سَيَفِرُّ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ أَمْ لَا. لَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَقُّفَ عَنِ التَّفَكُّيرِ فِي الْأَمْرِ. كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَمَامِ مُتَوَقِّعًا فِي الْعَالِبِ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ.

بَدَأَ الرَّجَالُ الْأَخْرُونَ فِي الْمُرَاحِ وَالضَّحِكِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ أَخَذَ يُعْنِي، وَشَعَرَ هِنْرِي أَنَّهُ فِي عَزَلَةٍ عَنِ الْأَخْرَيْنِ. عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ، انْقَسَمَ رَتَلُ الْجُنُودِ إِلَى وَحَدَاتٍ، وَدَخَلَتْ كُلُّ وَحْدَةٍ إِلَى الْحُقُولِ كَيْ تُحَيِّمَ. بَدَتِ الْخِيَامُ وَكَأَنَّهَا نَبَاتَاتٌ غَرِيبَةٌ، وَرَصَعَتْ نِيرَانُ الْمُخَيِّمِ صَفْحَةَ اللَّيْلِ كَأَنَّهَا زُهُورٌ حَمْرَاءُ.

الفصل الثالث

حَوَارٌ مَعَ صَدِيقٍ

سَارَ هِنْرِي بِمُفْرَدِهِ فِي الظَّلَامِ. اسْتَلْقَى فَوْقَ الحَشَائِشِ وَشَعَرَ بِالْأَسَى عَلَى حَالِهِ. كَانَ يَمْنَى العُودَةَ إِلَى مَنْزِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَالْقِيَامَ بِجَوْلَاتِهِ مِنَ البَيْتِ إِلَى الحَظِيرَةِ، وَمِنَ الحَظِيرَةِ إِلَى الحَقْلِ، وَمِنَ الحَقْلِ إِلَى الحَظِيرَةِ، وَمِنَ الحَظِيرَةِ إِلَى البَيْتِ. تَذَكَّرَ هِنْرِي كَمَا كَانَ يَصِيحُ فِي البَقْرَةِ وَرِفَاقِهَا، لَكِنَّهُ الآنَ يَفَكِّرُ فِيهَا فِي سَعَادَةٍ. أَحْبَرَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ لِيَكُونَ جُنْدِيًّا، وَفَكَّرَ كَمَا هُوَ شَدِيدُ الإِخْتِلَافِ عَنِ الرِّجَالِ الأَخْرَيْنِ فِي فِرْقَتِهِ.

سَمِعَ هِنْرِي حَفِيفَ الحَشَائِشِ، وَنَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأَى الجُنْدِيَّ ذَا الصَّوْتِ العَالِي، فَنادَاهُ:

«ويلسون!»

قَالَ ويلسون: «مَرْحَبًا يَا هِنْرِي، أَهَذَا أَنْتَ؟ مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ هُنَا؟»

قَالَ هِنْرِي: «أفكّر.»

بَدَأَ ويلسون فِي الحَدِيثِ عَنِ المَعْرَكَةِ الَّتِي يَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيُشَارِكُونَ فِيهَا قَرِيبًا.

قَالَ ويلسون: «سَنَنَالُ مِنْهُمْ الآنَ! أَحَبْرًا سَنَنَالُ مِنْهُمْ.»

قَالَ هِنْرِي: «نَعَمْ، يَقُولُ جِيم كُونَكِن إنَّنَّا سَنُخَوِّضُ الكَثِيرَ مِنَ القِتَالِ.»

قَالَ ويلسون: «أَظُنُّهُ عَلَى حَقِّ هَذِهِ المَرَّةِ؛ فَأَمَامَنَا مَعْرَكَةٌ كَبِيرَةٌ، هَذَا أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ.»

قَالَ هِنْرِي: «أَظُنُّكَ سَتُبْلِي بِلَاءً حَسَنًا.»

رَدَّ ويلسون: «لَا أَعْلَمُ، أَعتَقِدُ أَنَّنِي سَأَفْعَلُ مِثْلَمَا يَفْعَلُ الباقُونَ، سَوْفَ أَبْدُلُ قِصَارِي

جُهْدِي.»

سَأَلَهُ هِنْرِي: «كَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَفْرَّ جِينَمَا يَجِينُ وَقْتُ القِتَالِ؟»

قَالَ ويلسون: «أَفِرُّ؟!» ثُمَّ ضَحِكَ، وَأَضَافَ: «أَفِرُّ؟! بِالطَّبِيعِ لَنْ أَفِرُّ!»

قال هنري: «حَسَنًا، ظَنَّ الْكَثِيرُ مِنَ الرَّجَالِ أَنَّهُمْ سَيُحَقِّقُونَ انْتِصَارَاتٍ عَظِيمَةً قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ، لَكِنْ عِنْدَمَا حَانَ الْوَقْتُ، فَرَّوْا.»
قال ويلسون: «هَذَا صَحِيحٌ عَلَى مَا أَعْتَقْتُ، لَكِنِّي لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، وَمَنْ يُرَاهِنَ عَلَيَّ فِرَارِي فَسَوْفَ يَخْسِرُ.»

قال هنري: «سُحَقًا! هَلْ أَنْتِ أَشْجَعُ رَجُلٌ فِي الْعَالَمِ؟»
ردَّ ويلسون: «لَا، لَسْتُ كَذَلِكَ، وَلَمْ أَقُلْ إِنَّنِي الْأَشْجَعُ. قُلْتُ إِنَّنِي سَأَخْذُ نَصِيْبِي مِنَ الْقِتَالِ. وَمَنْ تَكُونُ أَنْتِ لِتُحَاطِبِنِي هَكَذَا عَلَى آيَّةِ حَالٍ؟»
حدَّق ويلسون في وَجْهِ هنري لَحْظَةً ثُمَّ سَارَ بَعِيدًا، فَصَاحَ هنري: «لَا دَاعِي لِي لِأَنَّ يُغْضِبَكَ الْأَمْرُ!»

شَعَرَ هنري بِالْوَحْدَةِ وَالتَّعَاسَةِ. بَدَأَ أَنَّهُ لَا أَحَدَ غَيْرَهُ يَشْغَلُ بِأَلِّهِ هَلْ سَيَفِرُّ مِنْ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ أَمْ لَا. شَعَرَ أَنَّهُ غَرِيبٌ عَنْهُمْ، فَعَادَ إِلَى خَيْمَتِهِ وَاسْتَلْقَى عَلَى أَحَدِ الْأَغْطِيَةِ بِجَوَارِ جِيمِ الَّذِي كَانَ يَغْطِي فِي نَوْمِهِ. فِي الظَّلَامِ، تَرَاءَى لهنري فِي خَيَالِهِ الْخَوْفُ الَّذِي سَيَجْعَلُهُ يَرْكُضُ بَعِيدًا، بَيْنَمَا يَقِفُ الْآخَرُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ يُقَاتِلُونَ. كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ هَذَا الْوُحْشِ، ظَلَّ يُحَدِّقُ فِي انْعِكَاسِ النَّارِ عَلَى جِدَارِ خَيْمَتِهِ حَتَّى أَرْهَقَهُ الْفَلَقُ، فَغَطَّ فِي النَّوْمِ.

الفصل الرابع

رِسَالَةٌ مِنْ وِيلَسُون

حَلَّتْ لَيْلَةٌ جَدِيدَةٌ، وَعَبَّرَ رَتَلَا الْجُنُودِ اثْنَيْنِ مِنَ الْكَبَارِيِّ. كَانَ هَنْرِي وَاثِقًا أَنَّهُمْ سَيَتَعَرَّضُونَ لِلْمُوجَهَةِ مِنَ الْكُهُوفِ فِي الْعَابَاتِ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. لَمْ يُزْعِجْهُمْ أَحَدٌ فِي مَكَانِ تَخْيِيمِهِمْ، وَنَامَ الْجُنُودُ نَوْمَ الرِّجَالِ الْمُرْهَقِينَ. اسْتَيْقَظُوا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، وَسَارُوا فِي طَرِيقِ ضَيْقٍ يُؤَدِّي إِلَى قَلْبِ الْعَابَةِ.

بَدَأَ الرِّجَالُ يُعْدُونَ الْأَمْيَالَ الَّتِي قَطَعُوهَا، كَثِيرُونَ مِنْهُمْ أَلْقَوْا حَقَائِبَهُمْ بَعِيدًا، وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَصْبَحَ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْهُمْ لَا يَحْمِلُ سِوَى الْمَلَابِسِ الصَّرُورِيَّةِ، وَالْأَعْطِيَّةِ، وَقَرَبِ الْمِيَاهِ، وَالْبَنَادِقِ، وَالذَّخِيرَةِ.

قَالَ جِيم لَهَنْرِي: «يُمْكِنُكَ الْآنَ أَنْ تَأْكُلَ وَتُصَوِّبَ، هَذَا كُلُّ مَا عَلَيْكَ فِعْلُهُ.»
وَاصَلَ الْجُنُودُ سَيْرَهُمْ بَضْعَةَ أَيَّامٍ، وَبَدَأَ هَنْرِي يُفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ وَكَأَنَّهُ مَسِيرَةٌ لِلرِّجَالِ فِي زِيهِمُ الْعَسْكَرِيِّ الْأَزْرَقِ يُظْهِرُونَ فِيهَا كِفَاءَتَهُمْ فِي السَّرِّ لَيْسَ أَكْثَرَ.

عَبَّرَ أَنَّهُ فِي فَجْرِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، رَكَلَ جِيم هَنْرِي الَّذِي — قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ تَمَامًا — وَجَدَ نَفْسَهُ يَجْرِي عَلَى الطَّرِيقِ وَسَطَ رِجَالٍ يَلْهَثُونَ مِنَ الْجَرِيِّ سَرِيعًا. كَانَ يَأْتِيهِمْ مِنْ بَعِيدٍ صَوْتٌ دَوِيٍّ الْأَعْيِرَةِ النَّارِيَّةِ، وَكَانُوا يَرْكُضُونَ بِاتِّجَاهِ هَذَا الصَّوْتِ مُبَاشَرَةً.

شَعَرَ هَنْرِي بِالِارْتِيَاكِ، وَحَاوَلَ أَنْ يُفَكِّرَ أَثْنَاءَ رُكُضِهِ مَعَ رِفَاقِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ خَلْفَهُ سَبَدَهَسُونَهُ إِذَا سَقَطَ أَرْضًا؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرَكِّزَ حَتَّى لَا يَبْعَثَرَ. شَعَرَ وَكَأَنَّهُ يُدْفَعُ إِلَى الْأَمَامِ بِفِعْلِ حَشْدٍ مِنَ الرَّعَاعِ.

انْضَمَّتِ الْوَحَدَاتُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَشْهَدِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَحِينَهَا عَلِمَ هَنْرِي أَنَّ وَقْتَهُ قَدْ حَانَ؛ إِنَّهُ عَلَى وَشَكِّ الْإِخْتِبَارِ. نَظَرَ حَوْلَهُ، وَرَأَى أَنَّ فِرَارَهُ مِنَ الْوَحْدَةِ مُسْتَحِيلٌ. كَانُوا

يُحِيطُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى شَعَرَ وَكَأَنَّهُ بِدَاخِلِ صُنْدُوقِ مُتَحَرِّكِ. أَدْرَكَ هِنْرِي أَنَّهُ لَمْ يَزْعَبْ قَطُّ فِي الْإِنْضِمَامِ إِلَى الْحَرْبِ، وَشَعَرَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَحْتَزْ الْإِنْضِمَامَ إِلَى الْجَيْشِ. لَقَدْ اسْتَدْرَجَتْهُ الْحُكُومَةُ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَشْعُرُ أَنَّ هَذَا وَاجِبُهُ، وَالآنَ تَأْخُذُهُ إِلَى نَهَايَةِ حَيَاتِهِ. شَعَرَ بِالْغَضَبِ لِأَنَّهُ هُنَا، وَفَقَدَ ثِقَتَهُ فِي الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ مَسْئُولِيَّةَ الْجَيْشِ.

عِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجَالُ إِلَى الْخَلَاءِ، تَوَقَّعَ هِنْرِي أَنَّ يَرَى قِتَالًا، لَكِنَّهُ رَأَى مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةً مِنَ الرَّجَالِ يَرْكُضُونَ ذَهَابًا وَإِيَابًا. كَانُوا يُطْلِقُونَ النَّارَ فِي الْأَفْقِ. زَفَرَفَ أَحَدُ الْأَعْلَامِ، وَمَرَّتِ الْوَحْدَةُ بِجَنَّةِ رَجُلٍ رَفَعَتِ الرِّيَّاحُ لِحَيْتَهُ وَكَأَنَّ يَدًا كَانَتْ تُدَاعِبُهَا. امْتَلَأَتْ رَأْسُ هِنْرِي بِأَفْكَارٍ غَرِيبَةٍ بَيْنَمَا وَاصَلَ السَّيْرَ. ظَنَّ أَنَّ الْأَرْضَ تُهَدِّدُهُ، وَأَنَّ الْعَدُوَّ سَيُهَاجِمُهُ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ وَيَقْتُلُهُ هُوَ وَأَصْدِقَاءَهُ. أَرَادَ أَنْ يُحَذِرَهُمْ مِنْ أَنَّ الْجِنْرَالَاتِ لَيْسُوا عَلَى وَعْيٍ بِمَا يَفْعَلُونَ، لَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَسْتَمِعَ إِلَيْهِ، وَعَلَى الْأَرْجَحِ سَيُضْحَكُونَ مِنْهُ.

عِنْدَمَا تَوَقَّفُوا وَاسْتَلْقُوا عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَكُونُوا فِي مَأْمَنِ، بَدَأَ الْعَدِيدُ مِنْ رِجَالِ الْوَحْدَةِ بِنَاءَ تِلَالٍ صَغِيرَةٍ أَمَامَهُمْ. اسْتَحْدَمُوا الْأَحْجَارَ، وَالْعِصِيَّ، وَالتُّرَابَ، وَأَيَّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ التَّصَدِّي لِلرِّصَاصِ. أَخَذَ الرَّجَالُ يَتَنَاقَشُونَ: هَلْ فَعَلَ ذَلِكَ شَيْءٌ مُشْرِفٌ أَمْ أَنَّهُ أَكْرَمُ لَهُمْ أَنْ يَقِفُوا وَيُوجِّهُوا الْعَدُوَّ دُونَ أَيِّ جِمَايَةٍ؟ صَدَرَ الْأَمْرُ لِلْوَحْدَةِ بِالتَّحَرُّكِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ مِمَّا جَعَلَ صَبْرَ هِنْرِي يَنْفَدُ، وَتَسَاءَلَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ لِمَاذَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟!

أَكَلَ جِيْمُ الْقَلِيلِ، وَأَجَابَ: «حَسَنًا، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا مُوَاصَلَةُ السَّيْرِ كَيْ نَمْنَعَ الْعَدُوَّ مِنَ الْإِقْتِرَابِ كَثِيرًا أَوْ شَيْئًا كَهَذَا.»

فِي الظَّهِيرَةِ، تَحَرَّكَتِ الْوَحْدَةُ فَوْقَ نَفْسِ الْأَرْضِ الَّتِي سَارُوا فَوْقَهَا فِي الصَّبَاحِ. بَدَتْ الْأَرْضُ مَأْلُوفَةً لِهِنْرِي أَكْثَرَ؛ فَلَمْ تَكُنْ تُهَدِّدُهُ بَعْدَ الْآنَ، لَكِنْ عِنْدَمَا يَمْرُونَ عَبْرَ أَيِّ مَنطِقَةٍ جَدِيدَةٍ، تَعَاوَدَ هِنْرِي مَشَاعِرَ الْفَلَقِ الْقَدِيمَةِ النَّابِعَةِ مِنَ الْبَلَاهَةِ وَالْخَوْفِ. بَعْدَ بَرْهَةٍ، قَرَّرَ هِنْرِي أَنَّهُ لَنْ يَأْبَهُ لِتِلْكَ الْبَلَاهَةِ. تَسَاءَلَ كَيْفَ سَيَكُونُ الْوَضْعُ إِذَا مَا أُصِيبَ فِي مَعْرَكَتِهِ الْأُولَى.

بَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَ دَوِيَّ الْأَعْيَرَةِ النَّارِيَّةِ أَمَامَهُ، وَرَأَى الْجُنُودَ يَرْكُضُونَ، تَتَّبِعُهُمْ أَصْوَاتُ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ. نَسِيَ هِنْرِي أَمْرَ احْتِمَالِ إِصَابَتِهِ بِطُلُقِ نَارِيٍّ، وَشَاهَدَ الْمَعْرَكَةَ فِي دَهْوِلٍ. فَجَأَةً! شَعَرَ بِبِدِّ ثَقِيلَةٍ فَوْقَ كَتِفِهِ، وَعِنْدَمَا اسْتَدَارَ رَأَى وَيْلَسُونَ، الْجُنْدِيَّ عَالِي الصَّوْتِ.

قَالَ وِلسُونُ: «إِنَّهَا مَعْرَكَتِي الْأُولَى وَالْآخِرَةُ يَا فَتَى.» كَانَ وِلسُونُ شَاحِبًا لِلْغَايَةِ وَشَفَقَاتَهُ تَرْتَجِفَانِ.

عَمَّعَ هِنْرِي فِي نُهُولٍ بِالْخِ: «مَا الْأَمْرُ؟!»

أَجَابَ وِلسُونُ: «قُلْتُ: إِنَّهَا مَعْرَكَتِي الْأُولَى وَالْآخِرَةُ. شَيْءٌ مَا يُخْبِرُنِي ...»
سَأَلَ هِنْرِي: «مَاذَا؟!»

قَالَ وِلسُونُ: «أُرِيدُكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذَا إِلَى أَهْلِي.» وَأَنْهَى كَلَامَهُ بِتَنْهِيدَةٍ عَبَّرَتْ عَنْ أَسْفِهِ عَلَى حَالِهِ، وَسَلَّمَ هِنْرِي مَظْرُوفًا صَغِيرًا.

قَالَ هِنْرِي: «مَا الَّذِي ...» لَكِنَّ وِلسُونَ رَمَقَهُ بِنَظْرَةٍ كَأَنَّهَا آتِيَةٌ مِنْ أَعْمَاقِ الْقُبُورِ، وَرَفَعَ يَدَهُ الْوَاهِنَةَ، ثُمَّ اسْتَدَارَ مُبْتَعِدًا.

الفصل الخامس

وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةَ

تَوَقَّفَ الرَّجَالُ عَلَى حَافَّةِ إِحْدَى الْحَدَائِقِ، حَيْثُ جَتَمُوا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ يُصَوِّبُونَ
أَسْلِحَتَهُمْ نَحْوَ الْحُقُولِ، وَيَحَاوِلُونَ النَّظَرَ فِيمَا وَرَاءَ الضُّبَابِ؛ حَيْثُ اسْتَطَاعُوا رُؤْيَةَ رِجَالِ
آخَرِينَ يَزْكُضُونَ وَبَعْضُهُمْ يَصِيحُ وَيَلْوَحُ. نَظَرَ رِجَالٌ وَحْدَهُ هِنْرِي وَاسْتَمَعُوا فِي حَرِصٍ،
وَوَظَلُّوا مَشْغُولِينَ بِالْحَدِيثِ عَنِ الشَّائِعَاتِ الَّتِي سَمِعُوهَا.

قَالَ أَحَدُ الرَّجَالِ: «قَابَلْتُ أَحَدَ الْفِتْيَانِ مِنْ وِلَايَةِ «مِين»، وَقَالَ إِنَّ فِرْقَتَهُ حَارَبَتْ جَيْشَ
الْمُتَمَرِّدِينَ كُلَّهُ لِمُدَّةِ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ وَقَتَلَتْ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْهُمْ. قَالَ إِنَّ مَعْرَكَةَ أُخْرَى
كَهَذِهِ سَوْفَ تُنْهِي الْحَرْبَ تَمَامًا.»

تَرَايَدَ الصَّحْبُ أَمَامَهُمْ، وَجَمَدَ هِنْرِي وَرِفَاقَهُ صَمْتًا فِي أَمَاكِنِهِمْ. بِإِمْكَانِهِمْ رُؤْيَةَ
الْعَلَمِ يُرْفَرِفُ غَضَبًا وَسَطَ الدُّخَانِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ صُورٌ ضَبَابِيَّةٌ لِلوَحَدَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ.
لَاذَتْ مَجْمُوعَةٌ مُرْتَبِكَةٌ مِنَ الرَّجَالِ بِالْفِرَارِ عَبْرَ الْحُقُولِ.

مَرَّتْ قَدِيفَةٌ مُدْوِيَّةٌ مِثْلَ الْعَاصِفَةِ فَوْقَ رُءُوسِ جُنُودِ الْإِحْتِيَاظِ، وَهَبَطَتْ فَوْقَ أَرْضِ
الْبُسْتَانِ، ثُمَّ انْفَجَرَتْ لِتُبْعِثَ التُّرَابَ الْبُنِّيَّ وَأَوْرَاقَ الصَّنَوْبِرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَبَدَأَ صَفِيرُ
الرِّصَاصَاتِ بَيْنَ الْأَغْصَانِ وَانْطِلَاقُهَا بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْأَشْجَارِ. وَتَدَلَّتِ الْأَغْصَانُ وَالْأَوْرَاقُ إِلَى
الْأَسْفَلِ، وَكَأَنَّ آلَافَ الْفَتُوسِ الْخَفِيَّةِ تَنْزِلُ عَلَيْهَا؛ فَاضْطُرَّ كَثِيرٌ مِنَ الرَّجَالِ إِلَى تَغْطِيَةِ
رُءُوسِهِمْ.

أُصِيبَ مُلَازِمٌ كَتَيْبَةٌ هِنْرِي بِطُلُقَةٍ فِي يَدِهِ، وَأَخَذَ يَكِيلُ اللَّعْنَاتِ حَتَّى سَرَتْ ضَحِكُهُ
مَشُوبَةً بِالتَّوْتُرِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْكَتَيْبَةِ. ضَغَطَ الْمُلَازِمُ عَلَى جُرْحِهِ كَيْ لَا تَتَسَاوَى الدَّمَاءُ فَوْقَ
سِرْوَالِهِ، ثُمَّ رَبَطَ قَائِدُ الْفُرْجَةِ مِنْدِيلًا حَوْلَ الْجُرْحِ.

رَفَرَفَتْ رَايَةُ الْمَعْرَكَةِ بَعِيدًا فِي جُنُونٍ، وَكَأَنَّهَا تُكَافِحُ لِتَحْرِيرِ نَفْسِهَا. امْتَلَأَ الدُّخَانُ
الدَّائِرُ فِي الْهَوَاءِ بِوَمَضَاتٍ أُفْقِيَّةٍ، وَظَهَرَ عِبْرَهُ رِجَالٌ يَهْرُبُونَ بِسُرْعَةٍ مِنَ الْقِتَالِ، ثُمَّ أَرْدَادَ
عَدَدُهُمْ حَتَّى بَدَأَ وَكَانَ الْكَتَيْبَةُ كُلُّهَا تَلُوذُ بِالْفِرَارِ. وَانْخَفَصَ الْعَلَمُ وَكَأَنَّه يُحْتَضِرُ، وَبَدَتْ
حَرَكَتُهُ وَهُوَ يَنْكَسُ إِشَارَةً لِلْيَأْسِ.

شَعَرَ هِنْرِي بِالذُّعْرِ مِنَ النَّظَرَاتِ الَّتِي عَلَتْ وَجُوهَ الْفَارِيِّنَ، شَعَرَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ فِي
الْعَالَمِ قَدْ يَمْنَعُهُ مِنَ الْفِرَارِ إِذَا لَاحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ، لَكِنْ كَانَ عَلَى الرَّجَالِ فِي وَحْدَتِهِ التَّشَبُّثُ
بِمَوَاقِعِهِمْ. وَقَفُوا جَنبًا إِلَى جَنِبٍ يَرْتَعِشُونَ وَيَزْدَادُونَ شُحُوبًا.

جَالَتْ بِخَاطِرِ هِنْرِي فِكْرَةٌ وَحِيدَةٌ فِي خِصْمِ تِلْكَ الْفَوْضَى؛ فَالْوَحْشُ الَّذِي تَسَبَّبَ فِي
فِرَارِ الْوَحَدَاتِ الْأُخْرَى لَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ. وَقَرَّرَ هِنْرِي أَنْ يَتَرَقَّبَهُ، ظَنَّ أَنَّهُ لَوْ اسْتَطَاعَ فِعْلَ
ذَلِكَ، سَيَكُونُ قَادِرًا عَلَى الْفِرَارِ أَسْرَعَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ.

الفصل السادس

الطَّلَقُ الْأَوَّلِي

كَانَتْ هُنَاكَ لَحَظَاتٌ انْتِظَارٍ كَثِيرَةٌ، وَتَذَكَّرَ هُنْرِي الشَّارِعَ فِي مَدِينَتِهِ عِنْدَمَا كَانَ الْجَمِيعُ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ مَوْكِبِ السَّيْرِكِ فِي الرَّبِيعِ.

صَاحَ أَحَدُهُمْ فَجَاءَةً: «هَا قَدْ أَتَوْا!»

سَرَتْ عَمَّامَاتٌ وَهَمَّامَاتٌ بَيْنَ الرَّجَالِ الَّذِينَ سَحَبُوا صِنَادِيْقَ الرَّصَاصِ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ، وَعَيَّرُوا مَوَاقِعَهُمْ فِي حَذَرٍ بِالِغِ. «هَا قَدْ أَتَوْا! هَا قَدْ أَتَوْا!» وَتَحَرَّكَتْ أَرْزُدُ الْبِنَادِقِ.

عَبَّرَ الْحَقْلُ الْمُعْطَى بِالِدُّخَانِ ظَهَرَ سِرْبٌ مِنَ الرَّجَالِ فِي زِيهِمُ الرَّمَادِيِّ، يَصِيحُونَ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفَعَةٍ صَاحِيَّةٍ. عِنْدَمَا رَأَاهُمْ هُنْرِي ارْتَبَكَ فَجَاءَةً مِنْ فِكْرَةٍ أَنَّ بُنْدُقِيَّتَهُ رُبَّمَا لَا تَكُونُ مَحْشُوءَةً بِالرَّصَاصِ. حَاوَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَتَى حَسَّاهَا، لَكِنَّهُ كَانَ مُرْتَبِكًا لِلْغَايَةِ.

سَحَبَ جِنْرَالٌ لَا يَدْرِي قُبْعَةً جَوَادَهُ لِيَقِفَ بِجَوَارِ الْعَقِيدِ الَّذِي يَرَأْسُ كَتِيْبَةَ هُنْرِي، وَلَوْحَ بِقُبْضَةِ يَدِهِ فِي وَجْهِ الْعَقِيدِ.

صَاحَ اللُّوَاءُ مُحْتَدًّا: «كَانَ عَلَيْكَ رَدْعُهُمْ! كَانَ عَلَيْكَ رَدْعُهُمْ!»

وَسَطَ شُعُورِ الْعَقِيدِ بِالْإِرْتِبَاكِ، بَدَأَ يَتَحَدَّثُ مُتَلَعْمًا.

«حَسَنًا يَا جِنْرَالُ! سَس... وَ... فَ نَس... نَس... نَس... نَفْعَلُ ... نَفْعَلُ مَا فِي وُسْعِنَا يَا جِنْرَالُ»

أَوْمَأَ الْجِنْرَالُ إِيمَاءً مَمْرُوجَةً بِالْغَضَبِ، وَقَادَ الْجَوَادَ مُبْتَعِدًا. غَمَّعَ أَحَدُ الرَّجَالِ

بِالْقُرْبِ مِنْ هُنْرِي: «لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ! لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ!»

كَانَ قَائِدَ الْفِرْقَةِ يَذْرَعُ الْمَكَانَ ذَهَابًا وَإِيَابًا خَلْفَ الرَّجَالِ فِي انْفِعَالٍ، وَظَلَّ يَرُدُّدًا: «لَا

تَطْلُقُوا النَّيْرَانَ أَيُّهَا الْفِتْيَانُ. لَا تَطْلُقُوا النَّيْرَانَ إِلَّا عِنْدَمَا أُخْبِرْكُمْ. انْتِظِرُوا حَتَّى يَقْتَرِبُوا

كثيْرًا.»

أَلْقَى هِنْرِي نَظْرَةً عَلَى الْعُدُوِّ فِي الْحَقْلِ أَمَامَهُ، وَتَوَقَّفَ عَنِ التَّفَكِيرِ فِيمَا إِذَا كَانَتْ
الْبُنْدُوقِيَّةُ مَحْشُوءَةً أَمْ لَا. وَقَبَّلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ، وَقَبَّلَ أَنْ يُخْبِرَ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَلَى وَشِكِّ الْقِتَالِ، صَوَّبَ
بُنْدُوقِيَّتَهُ، وَأَطْلَقَ أَوَّلَ رِصَاصَةٍ عَشْوَائِيَّةٍ، حَتَّى قَبَّلَ أَنْ يَصْدُرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي
تَشْغِيلِ سِلَاحِهِ.

فَقَدَّ هِنْرِي فِجَاءَةً فَلَقَهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ إِذْ شَعَرَ وَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ شَيْءٍ أَكْبَرَ، كَانَ الشَّيْءُ
الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْرِفُهُ أَنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مَا هُوَ فِيهِ الْآنَ، فَهُوَ فِي وَرْطَةٍ، لَنْ يَسْتَطِيعَ بِأَيِّ حَالٍ
أَنْ يَتَرَكَ كَتِيبَتَهُ بَعْدَ الْآنَ. كَانَ دَائِمَ الْإِنْتِبَاهِ لِرِفَاقِهِ الْوَاقِفِينَ بِجَوَارِهِ، وَكَأَنَّ رَابِطَةَ إِخَاءٍ
قَدْ وُلِدَتْ مِنْ بَيْنِ الدُّخَانِ وَخَطَرِ الْمَوْتِ.

وَأَخِيرًا الْقِتَالُ

عَمِلَ هُنْرِي بِسُرْعَةٍ، وَمَلَأَ أُذُنَيْهِ صَوْتُ صَاحِبِ مُرْعَجٍ، وَمَا إِنْ مَرَّ الصَّوْتُ، حَتَّى شَعَرَ
بِغَضَبٍ شَدِيدٍ وَكَأَنَّهُ وَحْشٌ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ الْخِنَاقَ. حَارَبَ هُنْرِي بِجُنُونٍ، وَكَانَ جَمِيعُ
الرِّجَالِ مِنْ حَوْلِهِ يُصْدِرُونَ أَصْوَاتًا غَرِيبَةً. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْظَاهِرُ بِمَطْهَرِ الْبُطُولَةِ،
بَلْ كَانُوا مُنْشَغَلِينَ لِلْعَايَةِ بِحَشْوِ الْبَنَائِقِ وَإِطْلَاقِ النَّيْرَانِ وَإِعَادَةِ حَشْوِهَا.

وَقَفَ الضُّبَّاطُ وَرَاءَ الرِّجَالِ وَأَخَذُوا يُشَجِّعُونَهُمْ.

التَقَى مَلَايِمُ وَحَدَّةُ هُنْرِي بِجُنْدِيٍّ كَانُ قَدْ فَرَ عِنْدَمَا بَدَأَ إِطْلَاقَ النَّيْرَانِ، فَجَذَبَهُ مِنْ
يَاقَتِهِ وَأَرْغَمَهُ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى الصَّفِّ الْأَمَامِيِّ. عَادَ الْجُنْدِيُّ، لَكِنْ كَانَ وَاضِحًا أَنَّ قَلْبَهُ لَمْ
يَكُنْ فِي مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ. حَاوَلَ الْجُنْدِيُّ إِعَادَةَ تَعْبِئَةِ بُنْدُقِيَّتِهِ، لَكِنْ يَدَيْهِ كَانَتَا تَرْتَجِفَانِ
بِشِدَّةٍ حَتَّى اضْطُرَّ الْمَلَايِمُ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ.

تَسَاقَطَ الرِّجَالُ هُنَا وَهُنَا، وَكَانَ قَائِدُ فِرْقَةِ هُنْرِي قَدْ قُتِلَ فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ. كَانَ
جَسَدُهُ مُمَدَّدًا كَرَجُلٍ يَسْتَرِيحُ، لَكِنْ عَلَتْ وَجْهَهُ نَظْرَةٌ دَهْشَةٍ وَأَسَى، وَكَأَنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ صَدِيقٍ
لَا بِيَدِ عَدُوٍّ. أُصِيبَ رَجُلٌ كَانَ يَبْكِي بِجَوَارِ هُنْرِي بِطُلُقَةِ أَسَالَتِ الدَّمَاءِ عَلَى وَجْهِهِ.

وَفِي النِّهَايَةِ، سَرَتْ صَيْحَةٌ فِي الصَّفِّ، وَتَوَقَّفَ إِطْلَاقُ النَّيْرَانِ. عِنْدَمَا انْقَشَعَ الدُّخَانُ،
رَأَى هُنْرِي أَنَّ الرِّجَالَ ذَوِي الرِّيِّ الرَّمَائِيِّ قَدْ تَقَهَّقَرُوا إِلَى الْخَلْفِ. كَانَ الْعَدُوُّ مُنْتَشِرًا
فِي مَجْمُوعَاتٍ، وَبَدَأَ بَعْضُ الْجُنُودِ فِي فِرْقَتِهِ بِالصِّيَاحِ، بَيْنَمَا حَيَمَ الصَّمْتُ عَلَى الْكَثِيرِينَ.
وَعِنْدَمَا هَدَأَ هُنْرِي، شَعَرَ وَكَأَنَّهُ سَيَحْتَنِقُ. كَانَ مُتْسِخًا وَيَنْصَبُّ عِرْقًا؛ فَأَخَذَ شَرْبَةً طَوِيلَةً
بَارِدَةً مِنْ قَرْبَةِ الْمِيَاهِ.

صَاحَ أَحَدُ الرِّجَالِ: «لَقَدْ دَحَرْنَاهُمْ!»

كَانَ هِنْرِي مُبْتَهَجًا. كَانَ مُحَاطًا بِالْكَثِيرِ مِنَ الْجُنُثِ الْمُمَدَّدَةِ حَوْلَهُ، وَكَأَنَّهَا قَدْ
سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ. لَقَدْ رَأَى الْمَعَارِكَ تَدُورُ رَحَاَهَا عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَتَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ فِي وَسْطِ الْمَعْرَكَةِ.
عِنْدَمَا نَظَرَ حَوْلَهُ، لَاحَظَ السَّمَاءَ الزَّرْقَاءَ وَالشَّمْسَ الَّتِي تُشْرِقُ عَلَى الْأَشْجَارِ وَالْحُقُولِ،
وَتَمَلَّكَتُهُ الدَّهْشَةُ مِنْ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَمْ تَتَأَثَّرْ بِكُلِّ تِلْكَ الْحُرُوبِ.

الفصل الثامن

فِرَارُ الرَّجَالِ

نَظَرَ هِنْرِي حَوْلَهُ تُصِيبُهُ حَالَةٌ مِنَ الدُّوَارِ. التَّقَطَّ قُبْعَتَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَتَحَرَّكَ دَاخِلَ سُتْرَتِهِ حَتَّى يَسْتَوِيَ وَضَعَهَا، ثُمَّ انْحَنَى لِيَعْقِدَ رِبَاطَ حَدَائِهِ.
لَقَدْ انْتَهَتْ أَحْيَرًا! مَرَّ الْاِخْتِبَارُ، وَانْقَضَتْ صُعُوبَاتُ الْحَرْبِ. كَانَ مُبْتَهَجًا، وَعَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا. شَعَرَ الرَّجَالُ الْآخَرُونَ بِنَفْسِ الْفَخْرِ الَّذِي شَعَرَ بِهِ هِنْرِي، فَصَافَحَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَسَاعَدُوا الْجَرَحَى مِنْهُمْ، لَكِنْ فَجَاءَهُ انْدَلَعَتْ صِيحَاتُ الدُّهُولِ بَيْنَ الْجُنُودِ.

صَاحَ أَحَدُ الرَّجَالِ: «لَقَدْ أَتَوْا مَرَّةً أُخْرَى!»

رَأَى هِنْرِي عَنْ بُعْدٍ أَنَسًا يَعْذُونَ خَارِجَ الْغَابَاتِ، وَرَأَى أَيْضًا الْعَلَمَ الْمَائِلَ يُسْرِعُ إِلَى الْأَمَامِ.

دَارَتِ الْقَدَائِفُ — الَّتِي لَمْ تُرَبِّكِ الْجُنُودَ بَعْضَ الْوَقْتِ — حَوْلَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى. كَانَتْ تَنْفَجِرُ وَسَطَ الْحَشَائِشِ وَبَيْنَ الْأَشْجَارِ. بَدَتْ الْاِنْفِجَارَاتُ كَأَنَّهَا زُهُورٌ غَرِيبَةٌ تَنْفَتِّحُ فِي حَرَكَةٍ عَنِيفَةٍ.

تَأَوَّهَ الرَّجَالُ، وَتَحَرَّكُوا فِي بَطْءٍ وَصُعُوبَةٍ. وَمَا إِنْ رَأَوْا الْاِقْتِرَابَ السَّرِيعَ لِلْعَدُوِّ، حَتَّى بَدَّعُوا يَتَمَرَّدُونَ عَلَى وَاجِبِهِمْ.

سَأَلَ أَحَدُهُمْ: «لِمَاذَا لَا يُرْسَلُ أَحَدٌ دَعْمًا؟»

وَقَالَ آخَرٌ: «لَنْ نَنْجُوَ مِنْ هُجُومِ تَانٍ، لَمْ آتِ إِلَى هُنَا لِأَحْرَابِ جَيْشِ الْمُتَمَرِّدِينَ اللَّعِينِ

كُلَّهُ وَحْدِي.»

حَدَقَ هِنْرِي فِي ذُهُولِ. بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ الْقِتَالَ سَيَكُونُ وَشِيكًا. لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مَعْرَكَةٌ أُخْرَى. ظَلَّ يَنْتَظِرُ وَكَأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَتَوَقَّفُونَ وَيَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ كَانَ خَطَأً، لَكِنَّ إِطْلَاقَ النَّيْرَانِ بَدَأَ ثَانِيَةً، وَتَوَالَى فِي كِلَا الْإِتِّجَاهَيْنِ. كَانَتْ رَقَبَةُ هِنْرِي تَرْتَعِشُ، وَيَدَاهُ مُتَيَبِّسَتَيْنِ. بَدَأَ يَنْخَيْلُ أَنْ جُنُودَ الْعَدُوِّ أَفْضَلُ وَأَقْوَى مِنَ الرَّجَالِ فِي فِرْقَتِهِ. لَا بَدَأَ وَأَنَّ جُنُودَ الْعَدُوِّ عِبَارَةٌ عَنِ آلَاتٍ مِنْ حَدِيدٍ. لَقَدْ بَدَأُوا كَالْتَنَّانِينَ وَسَطَ الدُّخَانِ.

فَجَاءَتْ! تَوَقَّفَ رَجُلٌ كَانَ قَرِيبًا مِنْ هِنْرِي وَمُنْشَغَلًا بِحَشْوِ بُنْدُقِيَّتِهِ، وَلَاذًا بِالْفِرَارِ وَهُوَ يُطْلِقُ صَيْحَةً عَالِيَةً. شَاهَدَ رَجُلٌ آخَرَ كَانَتْ تَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِهِ عَلَامَاتُ الشَّجَاعَةِ هَذَا الْمَشْهُدَ، وَتَمَلَّكَهُ الْخَوْفُ، فَالْقَى هُوَ الْآخَرَ بِبُنْدُقِيَّتِهِ وَلَاذًا بِالْفِرَارِ. لَمْ يَبْدُ الْخِزْيُ عَلَى وَجْهِهِ، كَانَ يَفِرُّ كَالْأَرَنْبِ.

بَدَأَ رَجَالٌ آخَرُونَ فِي الرَّكْضِ وَسَطَ الدُّخَانِ، وَشَاهَدَهُمْ هِنْرِي؛ فَصَرَخَ صَرَخَةً هَلَعِ وَاسْتَدَارَ وَأَخَذَ يَعْذُو.

لِلْحِظَةِ فَقَدْ هِنْرِي إِحْسَاسَهُ بِالِاتِّجَاهِ الْأَمِنِ؛ فَالْمَوْتُ وَالْإِصَابَةُ يُهَدِّدَانِهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ. بَدَأَ يَرْكُضُ نَحْوَ مُؤَخَّرَةِ فِرْقَتِهِ، وَفَقَدْ بُنْدُقِيَّتَهُ وَقَبَعَتَهُ، وَطَارَ مَعْطَفُهُ مَفْتُوحَ الْأَزْرَارِ مَعَ الرِّيَاحِ. كَانَ وَجْهُ هِنْرِي مَكْسُورًا بِالرُّعْبِ الَّذِي نَسَجَهُ فِي خِيَالِهِ. حَاوَلَ الْمُلَازِمُ أَنْ يُمَسِكَ بِهِ، لَكِنَّهُ هَرَبَ، هَرَبَ مِثْلَ رَجُلٍ كَفِيفٍ، اصْطَدَمَ كَتِفُهُ بِإِحْدَى الْأَشْجَارِ بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ أَرْضًا.

مَا إِنَّ أَدَارَ هِنْرِي ظَهَرَ إِلَى الْعَدُوِّ، حَتَّى تَزَايَدَتْ مَخَافُهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. جَعَلَ خِيَالُهُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْوَأَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ حَقِيقَةً؛ وَبَيْنَمَا كَانَ يَفِرُّ، رَأَى الرَّجَالَ عَلَى يَمِينِهِ وَعَلَى يَسَارِهِ يَفْعَلُونَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ، وَسَمِعَ وَقَعَ أَقْدَامٍ عَدِيدَةٍ خَلْفَهُ. تَسَاقَطَتِ الْقِدَائِفُ فَوْقَ رَأْسِهِ تَصَاحِبُهَا صَرَخَاتُ طَوِيلَةٍ جَامِحَةٍ.

انْتَابَ هِنْرِي الذُّهُولُ عِنْدَمَا مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ أُخْرَى يُشَارِكُ أَفْرَادَهَا فِي الْقِتَالِ، كَانُوا يُفَاعِلُونَ بِحِمَاسٍ بَالِغٍ، وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَبْدُو عَلَى دِرَايَةِ بِالْمَوْتِ الْقَائِمِ نَحْوَهُمْ. فَكَّرَ هِنْرِي أَنَّهُمْ حَمَقَى وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ.

وَاصَلَ هِنْرِي تَحَرُّكُهُ بَعِيدًا عَنِ الْأَحْدَاثِ، وَأَخِيرًا، رَأَى جِنْرَالًا يَمْنُطِي جَوَادًا. أحيانًا يَكُونُ الْجِنْرَالُ مُحَاطًا بِرِجَالٍ آخَرِينَ عَلَى صَهَوَاتِ جِيَادِهِمْ، وَأحيانًا أُخْرَى يَكُونُ بِمُفْرَدِهِ.

مَكَثَ هُنْرِي بِجَوَارِ الْجِنْرَالِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ لِمَا كَانَ يَقُولُ. رَبِّمَا يَسْأَلُهُ
الْجِنْرَالُ عَنْ مَعْلُومَاتٍ فَيُخْبِرُهُ هُنْرِي بِكُلِّ الْإِزْتِبَاكِ الَّذِي يَجْتَاحُ الصُّفُوفَ الْأَمَامِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ
كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ. أَرَادَ هُنْرِي أَنْ يُخْبِرَ الْجِنْرَالَ أَنَّهُ مِنَ الْخَطَا أَنْ يَجْلِسَ هُنَا دُونَ أَنْ
يَبْدُلَ أَيِّ جُهْدٍ لِإِقَافِ الْمَوْتِ الَّذِي يَحْصُدُ الْأَرْوَاحَ خَلْفَهُ. أَيُّ أَحْمَقَ سَيَقُولُ إِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَى
الرِّجَالِ التَّقَهُّرُ إِلَى الْوَرَاءِ.

هُرِعَ أَحَدُ الضُّبَابِ إِلَى الْجِنْرَالِ، وَقَالَ: «بِحَقِّ السَّمَاءِ، لَقَدْ فَعَلُوهَا! لَقَدْ أَوْقَفُوهُمْ!»
بَدَأَ الْجِنْرَالُ يَصِيحُ فِي جُنُودِهِ: «لَقَدْ نَلْنَا مِنْهُمْ! نَلْنَا مِنْهُمْ بِالتَّأَكِيدِ!»

رَجُلُ الْغَابَةِ

انكَمَشَ هنري وكأنه مُتَلَبِّسٌ بِجَرِيمَةٍ. لَقَدْ انْتَصَرُوا رَعْمَ كُلِّ شَيْءٍ! الْحَمَقَى الَّذِينَ ظَلُّوا فِي الْخَلْفِ هَزَمُوا الْعُدُوَّ. اسْتَطَاعَ سَمَاعُ الْهَتَافِ مِنْ خَلْفِهِ. اسْتَدَارَ وَقَدْ تَمَلَّكَهُ شُعُورٌ بِالذُّهُولِ وَالْغَضَبِ، شَعَرَ أَنَّهُ أَخْطَأَ.

أَخْبَرَ هنري نَفْسَهُ أَنَّهُ فَرَّ لِأَنَّ الْهَزِيمَةَ السَّاحِقَةَ كَانَتْ وَشِيكَةً. لَقَدْ فَعَلَ الصَّوَابَ بِأَنْ أَنْقَذَ نَفْسَهُ. كَانَ هنري جُزْءًا صَغِيرًا مِنَ الْجَيْشِ، وَوَاجِبُ كُلِّ جُزْءٍ صَغِيرٍ أَنْ يُنْقَذَ نَفْسُهُ إِذَا اسْتَطَاعَ. وَبَعْدَهَا يُمَكِّنُ لِلضُّبَّاطِ إِعَادَةَ تَجْمِيعِ الْأَجْزَاءِ الصَّغِيرَةِ مَعًا لِتَكْوِينِ الْجَيْشِ ثَانِيَةً. أَكَّدَ هنري لِنَفْسِهِ أَنْ تَصَرَّفَهُ كَانَ تَصَرُّفًا حَكِيمًا.

فَكَرَّ هنري فِي رِفَاقِهِ الَّذِينَ ثَبَّتُوا وَرَبِحُوا الْمَعْرَكَةَ؛ وَزَادَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مِنْ شُعُورِهِ بِالْمَرَارَةِ؛ إِذْ بَدَأَ أَنْ حَمَاقَتَهُمْ قَدْ حَدَعْتَهُ. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ تَصَرَّفَ بِذَكَاءٍ عِنْدَمَا لَادَ بِالْفِرَارِ، وَالْآنَ يَشْعُرُ بِغَضَبٍ شَدِيدٍ مِنْ رِفَاقِهِ الَّذِينَ لَمْ يَفْعَلُوا الْأَمْرَ ذَاتَهُ.

أَدْرَكَ هنري أَنَّ رِفَاقَهُ سَيَسْخَرُونَ مِنْهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ، وَبَدَأَ يُشْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ عِنْدَمَا فَكَّرَ فِي الْمُعَامَلَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي سَيَلْقَاهَا مِنْهُمْ. تَرَكَ الْحَقْلَ، وَاتَّجَهَ إِلَى بُقْعَةٍ كَثِيفَةٍ فِي الْغَابَةِ. أَرَادَ أَنْ يَبْتَعدَ عَنِ صَوْتِ الطَّلَقَاتِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تَزَالُ تَدْوِي.

كَانَتْ الْأَرْضُ مُغَطَّاةً بِالْكَرُومِ وَالشُّجَيْرَاتِ وَالْأَشْجَارِ الْقَرِيبِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ عَبْرَهَا. جَرَحَتْ أَشْوَاكُ الشُّجَيْرَاتِ قَدَمَيْهِ، وَسَدَّتْ فُرُوعُ الْأَشْجَارِ الطَّرِيقَ أَمَامَهُ. لَمْ يَسْتَطِعِ السَّيْرَ فِي هُدُوءٍ دَاخِلِ الْغَابَةِ، بَلْ أَصْدَرَ جَلْبَنَةً شَدِيدَةً حَتَّى بَاتَ حَائِقًا مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ الْأَخْرُونَ. ابْتَعَدَ كَثِيرًا دَاخِلَ الْغَابَةِ يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ

مُظْلِمٍ يُمَكِّنُهُ الْبَقَاءُ فِيهِ وَحِيدًا. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ، خَفَتِ صَوْتُ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ، وَأَنْطَلَقَتْ أَصْوَاتُ الْمَدَافِعِ بَعِيدًا. تَوَهَّجَتِ الشَّمْسُ وَسَطَ الْأَشْجَارِ، بَيْنَمَا أَصْدَرَتِ الْحَشْرَاتُ أَصْوَاتًا كَإِقْفَاعِ الْمَوْسِيقَى. لَقَدْ بَدَأَ وَكَأَنَّهَا تَصْرُّ بِأَسْنَانِهَا فِي تَنَاغُمٍ. قَرَعَ نَقَارُ الْخَشَبِ جَانِبَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ، وَمَرَّ طَائِرٌ فِي الْهَوَاءِ.

بَعِيدًا كَانَ طَنِينُ الْمَوْتِ، أَمَا هُنَا فَلَا يَسْمَعُ هُنْرِي سِوَى أَصْوَاتِ الطَّبِيعَةِ. وَسَطَ هَذَا الْمَشْهَدِ، شَعَرَ هُنْرِي أَنَّهُ أَفْضَلُ حَالًا. كَانَ يَشْعُرُ بِالسَّكِينَةِ. سَقَطَ كَوْزُ صَنْوَبِيرٍ مِنْ فَوْقِ شَجَرَةٍ، وَهَبَطَ بِجَوَارِ سُنْجَابٍ فَرَّ بَعِيدًا، وَرَأَى هُنْرِي أَنَّ هَذَا هُوَ قَانُونُ الطَّبِيعَةِ. لَقَدْ أَدْرَكَ السُّنْجَابُ أَنَّ هُنَاكَ خَطَرًا يُحْدِقُ بِهِ؛ فَهَرَبَ بَعِيدًا. تَوَعَّلَ هُنْرِي فِي الْغَابَةِ، وَأَخِيرًا وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ بَدَتْ فِيهِ الْأَعْصَانُ الْمُرْتَفِعَةُ الْمُقَوَّسَةُ وَكَأَنَّهَا تُشَكِّلُ كَنَيْسَةً صَغِيرَةً. شَكَّلَتْ أَوْرَاقُ الصَّنَوْبِيرِ بِسَاطًا بُيًّا، وَكَانَ هُنَاكَ ضَوْءٌ خَافِتٌ.

تَوَقَّفَ عِنْدَ الْمُدْخَلِ مَصْدُومًا مِمَّا رَأَاهُ أَمَامَهُ.

كَانَ أَمَامَهُ جُثَّةٌ رَجُلٍ يَسْتَنِدُ بِظَهْرِهِ إِلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ. كَانَ الرَّجُلُ يَرْتَدِّي زِيًّا أَزْرَقَ اللَّوْنِ فِيمَا مَضَى، لَكِنَّهُ الْآنَ بَهَتَ حَتَّى صَارَ دَرَجَةً كَنَيْبَةً مِنَ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ. تَغَيَّرَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ اللَّتَانِ كَأَنَّتَا تُحْدِقَانِ فِي هُنْرِي إِلَى لَوْنٍ بَاهِتٍ مِثْلِ جَوَانِبِ السَّمَكَةِ. كَانَ فَمُهُ مَفْتُوحًا، وَتَغَيَّرَتْ شَفَنَاهُ اللَّتَانِ كَأَنَّتَا حَمْرَاوَيْنِ يَوْمًا إِلَى لَوْنٍ أَصْفَرَ مُخِيفٍ. كَانَ النَّمْلُ الصَّغِيرُ يَزْحَفُ فَوْقَ بَشْرَةِ الرَّجُلِ الرَّمَادِيَّةِ، وَإِحْدَاهُنَّ تَحْمِلُ كُنْثَةً مَا فَوْقَ شَفْتِهِ الْعُلْيَا. أَطْلَقَ هُنْرِي صَرْخَةً عِنْدَمَا رَأَى الْجُثَّةَ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّحَرُّكُ أَوْ إِسَاحَةَ نَظَرِهِ بَعِيدًا عَنِ الرَّجُلِ. بَدَأَ وَكَأَنَّهُ تَحَوَّلَ إِلَى صَخْرَةٍ لِبُضْعِ دَقَائِقٍ. حَدَقَ فِي عَيْنِي الرَّجُلِ الْغَرِيبِ، وَبِطُءٍ وَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ خَلْفَهُ وَأَسْنَدَهَا عَلَى إِحْدَى الْأَشْجَارِ، وَعَلَى وَضْعِهِ هَذَا أَخَذَ يَرْجِعُ إِلَى الْخَلْفِ خُطْوَةً خُطْوَةً، وَهُوَ لَا يَزَالُ يَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ. كَانَ يَخْشَى لَوْ اسْتَدَارَ أَنْ تَقْفَرَ الْجُثَّةُ وَتَطَارِدَهُ.

اصْطَلَمَتِ الْأَعْصَانُ بَهُنْرِي وَكَأَنَّهَا تُهَدِّدُهُ بِأَنْ تُسْقِطَهُ أَرْضًا. عَلِقَتْ قَدَمَاهُ فِي الْكُرُومِ، وَتَخَيَّلَ أَنَّهُ يَلْمَسُ الْجُثَّةَ، فَانْتَفَضَ فَزَعًا.

رَجُلُ الْغَابَةِ

أَخِيرًا تَخَلَّصَ هُنْرِي مِنَ الْأَغْصَانِ وَالْكُرُومِ، وَهَرَبَ بَعِيدًا. لَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ
يَذْهَبُ، بَلْ اكْتَفَى بِالرَّكْضِ. فِي مُحَيَّلَتِهِ، كَانَتْ تُطَارِدُهُ صُورَةُ النَّمْلِ الْأَسْوَدِ الرَّاحِفِ فَوْقَ
الْوَجْهِ الرَّمَادِيِّ.

بَعْدَ فِتْرَةٍ، تَوَقَّفَ هُنْرِي وَأَرْهَفَ السَّمْعَ. كَانَ يَلْهَثُ مِنْ أَثَرِ الْعَدُوِّ. تَخَيَّلَ صَوْتًا غَرِيبًا
يَصْدُرُ مِنْ حَلْقِ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ وَيَصْرُخُ فِيهِ.

تَحَرَّكَتِ الْأَشْجَارُ خَلْفَهُ حَوْلَ الْجُبَّةِ مَعَ الرِّيحِ الْهَادِئَةِ، وَحَيَّمَ صَمْتُ كَثِيبٍ عَلَى
الْمَكَانِ.

صَاحِبُ الثِّيَابِ الرَّثَّةِ

عَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَوَقَّفَ ضَجِيجُ الْحَشَرَاتِ بَعْضَ الْوَقْتِ، وَوَسَطَ هَذَا السُّكُونِ، انْطَلَقَتْ فَجَاءَهُ أَصْوَاتٌ كَثِيرَةٌ مُتَدَاخِلَةٌ. تَوَقَّفَ هنري وَأَرْهَفَ السَّمْعَ. أَتَى صَوْتُ صِيَاحٍ مِنْ بَعِيدٍ، وَسَمِعَ هنري الصَّوْتِ الْمُدَوِّيَّ لِإِطْلَاقِ النَّارِ وَانْطِلَاقِ الْمَدَافِعِ.

تَشَتَّتَ ذَهْنُ هنري فِي كُلِّ الْإِتِّجَاهَاتِ. تَخَيَّلَ أَنَّ الْجَيْشَيْنِ لَا يَزَالَانِ يُحَارِبُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ. وَبَعْدَ أَنْ أَرْهَفَ السَّمْعَ وَقَفًا طَوِيلًا، بَدَأَ يَجْرِي فِي اتِّجَاهِ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ. عَلِمَ هنري أَنَّهُ مِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يَرْكُضَ بِاتِّجَاهِ الْمَعْرَكَةِ وَهُوَ الَّذِي بَدَلَ جُهْدًا بِالْغَا لِيَبْتَعِدَ عَنْهَا، لَكِنَّهُ أَخْبَرَ نَفْسَهُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْأَرْضُ وَالْقَمَرُ عَلَى وَشَكِ الْإِضْطِدَامِ، فَسَيَصْعَدُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَسْطُحِ مَنَازِلِهِمْ لِيُشَاهِدُوا حُدُوثَ ذَلِكَ. كَانَ لَدَيْهِ الشُّعُورُ نَفْسُهُ تَجَاهَ الْمَعْرَكَةِ؛ فَلَمْ يَشَأْ تَفْوِيتَ حَدِيثٍ سَيَنْحَدِثُ النَّاسُ عَنْهُ لِسَنَوَاتٍ تَالِيَةٍ.

جَالَ بِخَاطِرِ هنري وَهُوَ يَرْكُضُ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ الَّتِي شَهِدَهَا لَمْ تَكُنْ سِوَى إِحْمَاءٍ. عِنْدَمَا سَمِعَ أَصْوَاتَ الْمَعْرَكَةِ الَّتِي تَدُورُ الْآنَ، بَدَأَ يَشْكُ فِي أَنَّهُ قَدْ شَهِدَ قِتَالًا مِنْ قَبْلُ. كَادَ الْأَمْرِيُّ كُونَ مُضْحِكًا؛ فَقَدْ أَخَذَ هُوَ وَرِفَاقُهُ الْعُدُوَّ عَلَى مَحْمَلِ الْجِدِّ، وَتَخَيَّلُوا أَنَّهُمْ سَيَحْسِمُونَ الْمَعْرَكَةَ. ظَنُّوا جَمِيعًا أَنَّهُمْ سَيُضْبِحُونَ أَبْرَاءًا، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَذْكُرَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

أَسْرَعَ هنري إِلَى الْأَمَامِ مُتَخَيِّلًا كُلَّ مَشَاهِدِ الْمَعْرَكَةِ. حَاوَلَتْ أَعْصَانُ الْأَشْجَارِ وَالْكُرُومِ رَدْعَهُ وَإِعَاقَةَ طَرِيقِهِ، لَكِنَّهُ تَجَاوَزَهَا كُلَّهَا، وَسُرْعَانَ مَا رَأَى حَوَاجِزَ الدُّخَانِ

الرَّمَادِيَّةَ الْمُرتَفَعَةَ. فَرَعَ هنري عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ المَدَافِعِ مِنْ حَوْلِهِ، وَأَخَذَ يَحْدُقُ النَّظْرَ فِي اتِّجَاهِ المَعْرَكَةِ.

وأخيراً، واصل هنري طريقه إلى الأمام، وبدت أصوات المعركة مثل صرير آلة مروعة. كان سماع تلك الأصوات رائعاً، لكن عليه أن يقترب أكثر ليرى ما يحدث. وصل هنري إلى طريق به حشد من الرجال المصابين يسيرون ببطء بعيداً عن أرض المعركة. كانوا يكيلون الشتائم، ويتأوهون، ويبكون. كان أحدهم يحمل جذاً مليئاً بالدماء، وأخذ يقفز مثل تلميذ في المدرسة ويضحك كالمجنون، بينما كان آخر يُغني بصوت عالٍ مرتعش. وكان الكثير من الرجال غاضبين، بينما ساعد بعضهم في حمل ضابط كان يصيح بالأوامر في الرجال القريبين منه.

انضم هنري إلى هذا الحشد وسار معهم. سار رجل رث الثياب بهدوء إلى جوار هنري. كان مغطى بالغبار والدماء، ولديه بقع بارود تغطي شعره إلى جذائه، وكان يستمع إلى رقيب يتحدث معه. وبعد بزهة اقترب الرجل ذو الثياب الرثة من هنري محاولاً التحدث معه. رأى هنري أن الرجل مصاب بجرحين؛ واحد في ذراعه والآخر في رأسه ومربوط بقطعة قماش ممثلة بالدماء. كان صوت الرجل ذي الثياب الرثة رقيقاً، وبدت عيناه وكأنهما تتوسلان شيئاً.

سأل الرجل: «كانت معركة جيدة، أليس كذلك؟»

رفع هنري — الذي كان مستغرقاً في التفكير — بصره إلى الوجه البائس المغطى بالدماء، وقال: «ماذا؟»

سأل الرجل: «كانت معركة جيدة، أليس كذلك؟»

قال هنري: «بلى.» وبدأ يسرع في السير، لكن الرجل لحقه.

قال الرجل: «لم أر رجلاً يقاتلون هكذا من قبل، يا لها من معركة! كنت أعرف أن فتياننا سيحلون بالقوة ما إن يبدأ القتال. كنت أعلم أن الأمور ستؤول لما آلت إليه. لا يمكن هزيمة فتياننا يا سيدي. إنهم محاربون لا شك.»

نظر الرجل إلى هنري عدة مرات ليشجعه على الحديث، لكنه لم يرد عليه، فواصل الرجل حديثه.

صَاحِبُ الثِّيَابِ الرَّثِيَّةِ

قال: «كُنْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَ فَتَى مِنْ جُورجِيَا فِي جَيْشِ الْعُدُوِّ، قَالَ إِنَّهُ سَيَهْرُبُ مَا إِنْ
يَبْدَأُ إِطْلَاقَ النَّيْرَانِ، فَقُلْتُ إِنَّنَا لَنْ نَفْعَلَ. قُلْتُ رَبِّمَا يَفِرُّ رِجَالُهُ، فَضَحِكَ. حَسَنًا، لَمْ يَفِرَّ
أَحَدٌ الْيَوْمَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ حَارَبَ الْجَمِيعُ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ جُهْدٍ.»
وَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ نَظْرَةٌ حُبٌّ لِلْجَيْشِ. سَأَلَ الرَّجُلُ هُنْرِي بَعْدَ بُرْهَةٍ: «أَيَّنْ أُصِيبَتْ
يَا فَتَى؟»

شَعَرَ هُنْرِي بِالذُّعْرِ فَوْرًا عِنْدَ سَمَاعِ السُّؤَالِ.

سَأَلَ هُنْرِي: «مَاذَا؟»

فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ ثَانِيَةً: «أَيَّنْ أُصِيبَتْ؟»

رَدَّ هُنْرِي: «لِمَاذَا؟ ... أَنَا ... أَنَا ... إِنَّهُ ... لِمَاذَا؟ أَنَا ...»

اسْتَدَارَ هُنْرِي فَجَاءَهُ، وَأَخَذَ يَرْكُضُ وَسَطَ الْحَشْدِ. اكْتَسَى وَجْهُهُ بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ،
وَالنَّقَطَاتِ أَصَابِعُهُ فِي تَوْتِرٍ أَحَدَ أَزْرَارِهِ. ظَلَّ مُنْكَسَ الرَّأْسِ يُحَدِّقُ فِي الزَّرِّ كَأَنَّ بِهِ حَظْبًا
مَا.

جيم كونكلن

تَرَاجَعَ هنري حَتَّى مُؤَخَّرَةِ الْحَسَدِ، وَظَلَّ مُتَوَارِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ حَتَّى اخْتَفَى الْجُنْدِيُّ رَثُ الثِّيَابِ، ثُمَّ بَدَأَ يَسِيرُ مَعَ الْأَخْرِيِّينَ. لَكِنَّهُ كَانَ مُحَاطًا بِالْجَرْحَى. السُّؤَالُ الَّذِي طَرَحَهُ عَلَيْهِ الْجُنْدِيُّ رَثُ الثِّيَابِ جَعَلَهُ يَشْعُرُ أَنَّ عَارَهُ سَيَكُونُ مَلْحُوظًا لِلْجَمِيعِ. كَانَ هنري يَنْظُرُ أحيانًا إِلَى الرَّجَالِ الْأَخْرِيِّينَ بِعَيْنٍ مَلُؤَهَا الْحَسَدُ. كَانَ يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ لَدَيْهِ جُرْحٌ هُوَ الْأَخْرُ؛ شَارَةً حَمْرَاءُ تَدُلُّ عَلَى شَجَاعَتِهِ.

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ مُصَابٌ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ. حَاوَلَ الرَّجَالُ الْأَخْرُونَ مُسَاعَدَتَهُ، لَكِنَّهُ أَبْعَدَهُمْ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرُكُوهُ وَشَأْنَهُ. كَانَ وَجْهُهُ رَمَادِيًّا، وَشَفَاتُهُ مُغْلَقَتَيْنِ بِإِحْكَامٍ. تَحَرَّكَ الرَّجُلُ بِصُعُوبَةٍ وَكَأَنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَحْمِيَ جُرُوحَهُ. بَدَأَ أَنَّهُ يَبْحَثُ أَثْنَاءَ سَيْرِهِ عَنْ مَكَانٍ يَتَوَقَّفُ فِيهِ. بَدَأَ وَكَأَنَّهُ شَخْصٌ يَبْحَثُ عَنْ مَقْبَرَةٍ.

شَيْءٌ مَا فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي لَوَّحَ بِهَا الرَّجُلُ إِلَى الْجُنُودِ الْأَخْرِيِّينَ لِيَبْتَعِدُوا عَنْهُ أَدْهَسَ هنري، فَصَاحَ فِي فَرْعٍ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى ذِرَاعِ الرَّجُلِ، وَعِنْدَمَا التَفَّتْ إِلَيْهِ، صَاحَ هنري: «جيم كونكلن!»

ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِ جيم ابْتِسَامَةٌ صَغِيرَةٌ، وَقَالَ: «مَرْحَبًا يَا هنري.»

قَالَ هنري: «أَه يَا جيم! أَه يَا جيم! أَه يَا جيم!»

سَأَلَهُ جيم: «أَيْنَ كُنْتَ يَا هنري؟» وَمَدَّ يَدَيْهِ: «كُنْتُ قَلِّقًا عَلَيْكَ.»

لَمْ يَسْتَطِعْ هنري أَنْ يَقُولَ شَيْئًا سِوَى: «أَه يَا جيم!»

قَالَ جيم: «أَتَعْلَمُ؟ لَقَدْ كُنْتُ هُنَاكَ، يَا لَهُ مِنْ سِيرِكَ. لَقَدْ أَصِبتُ، لَقَدْ أَصِبتُ. الْوَضْعُ

سَيُّئٌ لِلْغَايَةِ.»

وَبَيْنَمَا وَاصِلُ الصَّدِيقَانِ سَيْرَهُمَا، بَدَأَ أَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَ جِيمَ فَجَاءَهُ، فَأَمْسَكَ بِذِرَاعِ
هنري وبدأ يَتَحَدَّثُ بِصَوْتِ هَامِسٍ مُرْتَجِفٍ. رَأَى هنري أَنَّ صَدِيقَهُ وَاهِنٌ لِلْغَايَةِ.
قال جيم: «سَأَخْبِرُكَ عَمَّا يُقْلِقُنِي يَا هنري، أَخَافُ أَنْ أَسْقُطَ أَرْضًا، فَأِمَّا يَتْرُكُونِي
هُنَا، وَإِمَّا تَدْهُسُنِي عَرَبَاتُ الْمِدْفَعِيَّةِ.»

صَاحَ هنري: «سَأَعْنِي بِكَ يَا جيم! أَقْسِمُ أَنِّي سَأَفْعَلُ.»
تَشَبَّثَ جِيمُ بِذِرَاعِ هنري.

سَأَلَ جِيمُ: «لَطَالَمَا كُنْتُ صَدِيقًا مُخْلِصًا لَكَ يَا هنري، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَطَالَمَا كُنْتُ
شَخْصًا جَيِّدًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَسْتُ أَطْلُبُ الْكَثِيرَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَقَطِّ اسْحَبْنِي بَعِيدًا عَنِ
الطَّرِيقِ، سَارُدُّهَا لَكَ يَا هنري.»

لَمْ يَسْتَطِعْ هنري أَنْ يَقُولَ شَيْئًا، وَسَارَ جِيمُ مُبْتَعِدًا عَنْهُ.

تَبِعَ هنري صَدِيقَهُ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَ صَوْتًا يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ كَتِفِهِ، وَعِنْدَمَا اسْتَدَارَ، إِذَا
بِهِ يَجِدُ الْجُنْدِيَّ رَثَّ الثِّيَابِ.

قَالَ الْجُنْدِيُّ: «يَنْبَغِي أَنْ تُبْعِدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ أَيُّهَا الرَّفِيقُ؛ فَهُنَاكَ عَرَبَةٌ قَادِمَةٌ، وَسَوْفَ
تَدْهُسُهُ.»

هُرِعَ هنري إِلَى صَدِيقِهِ، وَحَاوَلَ سَحْبَهُ مِنَ الطَّرِيقِ. حَاوَلَ جِيمُ أَنْ يَبْتَعِدَ لَحْظَةً،
ثُمَّ قَالَ: «أَلَيْ الْحُقُولُ؟»

بَدَأَ جِيمُ يَرْكُضُ وَسَطَ الْحَشَائِشِ، وَهنري يَرْكُضُ وَرَاءَهُ. صَاحَ هنري عَلَيْهِ كَيْ
يَتَوَقَّفَ، لَكِنَّهُ وَاصَلَ الرِّكْضَ. شَعَرَ هنري بِالِدَّهْشَةِ لِأَنَّ صَدِيقَهُ لَا يِرْأَلُ يَمْتَلِكُ كُلَّ هَذِهِ
الْقُوَّةِ.

سَأَلَهُ هنري بِصَوْتِ مُرْتَعِدٍ: «إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبُ يَا جيم؟ فِيمَ تُفَكِّرُ؟ مَاذَا تَفْعَلُ؟»

اسْتَدَارَ جِيمُ، وَقَالَ: «اتْرُكْنِي وَشَأْنِي، أَلَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟»

سَأَلَهُ هنري فِي دُهُولٍ: «لِمَاذَا يَا جيم؟ مَا خَطْبُكَ؟»

اسْتَدَارَ جِيمُ، وَرَكَضَ إِلَى الْأَمَامِ، فَتَبِعَهُ هنري وَالْجُنْدِيُّ رَثَّ الثِّيَابِ تَنْتَابُهُمَا مَشَاعِرُ
الدَّهْشَةِ وَالْخَوْفِ. بَدَأَ الْأَمْرُ وَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ طُقُسِ دِينِي، وَأَخِيرًا رَأَى جِيمُ يَتَوَقَّفَ فِي
مَكَانِهِ. بَدَأَ وَكَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ بِأَنَاءَةٍ شَيْئًا جَاءَ لِيَلْتَقِيَهُ.

حَيَّمَ الصَّمْتُ عَلَى الْجَمِيعِ.

جيم كونكلن

وَأَخِيرًا، أَخَذَ صَدْرُ جِيمِ يَنْتَفِضُ، وَسَقَطَ أَرْضًا.
اتَّجَهَ هنري بِغَضَبٍ مُفَاجِئٍ نَحْوَ أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ. لَوَّحَ بِقَبْضَةِ يَدِهِ، وَبَدَأَ عَلَى وَشِكِ
الصُّرَاخِ.
فَوْقَهُ، كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ مُلتَصِقًا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ رُقَاقَةٌ مِنَ البَسْكَوَيْتِ.

الفصل الثاني عشر

سؤال الجندي رث الثياب

وَقَفَ الرَّجُلُ رَثَ الثِّيَابِ يُفَكِّرُ.

وَأخِيرًا، قَالَ بِصَوْتٍ مَمْرُوجٍ بِالدهْشَةِ: «يَا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَتَعَجَّبُ مِنْ
أَيِّنْ جَاءَ بِكُلِّ تِلْكَ الْقُوَّةِ! لَمْ أَرِ مِنْ قَبْلُ رَجُلًا يَجْرِي هَكَذَا بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ بِضَعِّ مَرَاتٍ!
كَانَ أَمْرًا غَرِيبًا!»

أَرَادَ هُنْرِي أَنْ يَصْرُخَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصْدِرَ أَيَّ صَوْتٍ. وَقَفَ الرَّجُلُ ذُو الثِّيَابِ
الرَّثَّةِ وَرَاقِبَهُ.

قَالَ الرَّجُلُ بَعْدَ بُرْهَةٍ: «انظُرْ يَا رَفِيقِي، لَقَدْ رَحَلَ صَدِيقُكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ مِنْ الْأَفْضَلِ
لَكَ أَنْ تَهْتَمَّ بِنَفْسِكَ، لَنْ يَكْتَرِتَ أَحَدٌ لِإِزْعَاجِ صَدِيقِكَ بَعْدَ الْآنِ، وَعَلَيَّ أَنْ أَقُولَ إِنَّنِي لَا أَتَمَتُّ
بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ هَذِهِ الْأَيَّامَ.»

نَظَرَ هُنْرِي إِلَى الرَّجُلِ بِسُرْعَةٍ، وَرَأَى أَنَّهُ كَانَ يَتَرَنَّحُ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَأَنَّ وَجْهَهُ تَغَيَّرَ إِلَى
لَوْنٍ أَزْرَقٍ غَرِيبٍ.

صَاحَ هُنْرِي: «لَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا، لَنْ تَدَى...»

لَوَّحَ الرَّجُلُ بِيَدِهِ.

قَالَ الرَّجُلُ: «لَا، كُلُّ مَا أَحْتَاجُهُ هُوَ حِسَاءُ الْبَازِلَاءِ، وَفِرَاشٌ وَثِيرٌ.»

بَدَأَ يَسِيرَانِ عَائِدِينَ إِلَى الطَّرِيقِ. تَحَرَّكَ بِهُدُوءٍ بَعْضُ الْوَقْتِ، وَأخِيرًا، قَالَ الرَّجُلُ رَثَ

الثِّيَابِ: «أَتَعْلَمُ يَا رَفِيقِي؟ بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِتَدَهُورٍ شَدِيدٍ.»

تَأَوَّاهُ هُنْرِي وَتَسَاءَلَ هَلْ سَيَشْهَدُ عَرَضًا مُرَوِّعًا آخَرَ، لَكِنَّ صَدِيقَهُ الْجَدِيدَ طَمَأَنَّهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: «أوه، لَمْ يَحِنِ الْوَقْتُ بَعْدُ. لَدَيَّ الْكَثِيرُ لِأَفْعَلَهُ. عَلَيْكَ أَنْ تَرَى كَمْ طِفْلٍ لَدَيَّ!»

لَمَحَ هنري ظلَّ ابْتِسَامَةً عَلَى وَجْهِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَمْزَحُ. سَارًا مَسَافَةً أَطْوَلَ، وَتَحَدَّثَ الرَّجُلُ ذُو النَّيَابِ الرَّثَّةِ عَنْ مَسْقِطِ رَأْسِهِ، بَعْدَهَا قَالَ بِهَدُوءٍ بَالِغٍ: «لَا أَظُنُّ أَنِّي أَسْتَطِيعُ مُوَاصَلَةَ السَّيْرِ، وَأَنْتَ أَيْضًا تَبْدُو مُرْهَقًا جِدًّا، أَرَاهُنُ أَنَّكَ أَسْوَأُ حَالًا مِمَّا تَظُنُّ. عَلَيْكَ الْإِعْتِنَاءُ بِجُرْحِكَ؛ لَيْسَ مِنَ الْجَيِّدِ أَنْ تَتْرَكَ هَذِهِ الْجُرُوحَ مِنْ دُونِ عِنَايَةٍ. أَيِنَّ جُرْحُكَ؟»

كَانَ هنري يَأْمُلُ أَلَّا يَكْرُرَ الرَّجُلُ هَذَا السُّؤَالَ ثَانِيَةً. أَطْلَقَ صَرْخَةً غَضَبٍ، وَأَشَاحَ بِيَدِهِ فِي حَنْقٍ.

قَالَ هنري مُحَنَّدًا: «كُفَّ عَنْ إِزْعَاجِي.» الْخِزْيُ الَّذِي كَانَ يَشْعُرُ بِهِ جِرَاءً مَا فَعَلَهُ جَعَلَهُ يَصْرُخُ فِي وَجْهِ صَدِيقِهِ الْوَجِيدِ الْآنَ.

قَالَ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ يَشُوِبُهُ الْحُزْنُ: «يَعْلَمُ اللهُ أَنِّي لَا أُرِيدُ مُضَايَقَةَ أَحَدٍ. يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ لَدَيَّ مَا يَكْفِي مِنَ الْقَلْقِ.»

تَحَدَّثَ هنري — الَّذِي كَانَ يَفْكُرُ وَيَرْمُقُ الرَّجُلَ بِنَظْرَةٍ كَرَاهِيَةٍ — بِتَبَرَةٍ حَادَّةٍ.

قَالَ هنري: «إِلَى اللَّقَاءِ.»

نَظَرَ الرَّجُلُ ذُو النَّيَابِ الرَّثَّةِ إِلَيْهِ فِي ذُهُولٍ.

سَأَلَهُ مُتَرَدِّدًا: «لِمَذَا؟ ... لِمَذَا يَا صَدِيقِي؟ إِلَى أَيِّنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟» بَدَأَ رَأْسُهُ غَارِقًا فِي الْأَفْكَارِ. «الآنَ ... الآنَ ... انظُرْ ... هنا، أَنْتَ ... الآنَ ... لَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ ... لَنْ يُجِدِّي هَذَا نَفْعًا، إِلَى أَيِّنَ؟ ... إِلَى أَيِّنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟»

أَشَارَ هنري قَائِلًا: «إِلَى هُنَاكَ.»

قَالَ الرَّجُلُ مُتَلَعْنِمًا: «حَسَنًا، انظُرْ الْآنَ ... هُنَا ... الْآنَ.» كَانَ رَأْسُهُ يَنْدَلِّي إِلَى الْأَمَامِ، وَقَالَ مُعْجَمًا: «لَنْ يَنْجَحَ ذَلِكَ الْآنَ. أَنَا أَعْرِفُكَ، تَوَدُّ أَنْ تَذْهَبَ وَلَدَيْكَ جُرْحٌ غَائِرٌ. هَذَا لَيْسَ جَيِّدًا، عَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَنِي لِأَعْتَبِنِي بِكَ. لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ تَذْهَبَ ... تَسِيرَ ... بِجُرْحٍ بَالِغٍ ... لَيْسَ ... لَيْسَ جَيِّدًا ... لَيْسَ جَيِّدًا.»

تَسَلَّقَ هنري أَحَدَ الْأَسْبِجَةِ، وَبَدَأَ يَرْكُضُ بَعِيدًا. سَمِعَ صَوْتَ الرَّجُلِ يُنَادِيهِ، لَكِنَّهُ وَاصَلَ الْإِبْتِعَادَ. وَبَعْدَ أَنْ ابْتَعَدَ مَسَافَةً، اسْتَدَارَ فَرَأَى الرَّجُلَ يَهِيمُ وَسَطَ الْحَقْلِ.

سؤال الجندي رث الثياب

تَمَنَّى هنري لو أَنَّهُ أُصِيبَ فِي المَعْرَكَةِ. السُّؤالُ البَسيطُ الَّذِي وَجَّهَهُ الرَّجُلُ إِلَيْهِ كَانَ
مِثْلَ الجُرْحِ. أَذْرَكَ هنري أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ إِخْفَاءَ سِرِّهِ. سَيَعْلَمُ الجَمِيعُ أَنَّهُ فَرَّ مِنَ المَعْرَكَةِ.
لَمْ يَسْتَطِعْ حَتَّى أَنْ يَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ الأَسْئَلَةِ البَسيطَةِ.

فُرْصَةٌ ثَانِيَةٌ لِلانْضِمَامِ إِلَى المَعْرَكَةِ

انْتَبَهَ هنري فجأةً إِلَى أَن هَدِيرِ المَعْرَكَةِ كَانَ يَزْدَادُ شَيْئًا فَشَيْئًا. مَرَّتْ فَوْقَهُ سَحْبٌ بُنِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، وَاقْتَرَبَ الصُّجُجُ أَكْثَرَ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى قِمَّةِ أَحَدِ التَّلَالِ، رَأَى أَنَّ الطَّرِيقَ قَدْ امْتَلَأَ بِالعَرَبَاتِ الَّتِي تَجْرُهَا الحُيُولُ، وَبِالرِّجَالِ. كَانَ الخَوْفُ يَحْرُكُ الجَمِيعَ.

شَعَرَ هنري بِالرَّاحَةِ عِنْدَمَا رَأَى هَذَا المَشْهَدَ. كَانَ الجَمِيعُ يَفْرُونَ. رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ هُوَ سَيِّئًا إِلَى هَذَا الحَدِّ عَلَى أَيِّ حَالٍ. جَلَسَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَشَاهَدَ الجَمِيعَ يَمْرُونَ مِنْهُ. كَانُوا يَفْرُونَ مِثْلَ حَيَوَانَاتٍ صَغِيرَةٍ مُنْزَعَجَةٍ، وَوَجَدَ هنري بَعْضَ السَّعَادَةِ فِي مُشَاهَدَةِ تِلْكَ المَسِيرَةِ الهمجِيَّةِ.

سُرْعَانَ مَا ظَهَرَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ جُنُودِ المَشَاةِ عَلَى الطَّرِيقِ؛ كَانُوا يَنْحَرِكُونَ بِسُرْعَةٍ وَيَدُورُونَ حَوْلَ كُلِّ مَا يُصَادِفُهُمْ فِي الطَّرِيقِ. كَانَ هَؤُلَاءِ الجُنُودُ يَنْوَجِّهُونَ نَحْوَ قَلْبِ المَعْرَكَةِ، وَكَانُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمُوَاجَهَةِ انْدِفَاعِ العُدُوِّ المُتَحَمِّسِ. اكْتَسَتْ وَجُوهُهُمْ بِمَلَامِحِ الجِدِّ، وَلَمَسَ هنري شُعُورَهُمُ بِالأَهْمِيَّةِ.

عِنْدَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ، عَادَ إِلَيْهِ الشُّعُورُ بِالحُزْنِ؛ شَعَرَ وَكَأَنَّهُ يُشَاهِدُ صَفًّا مِنَ الجُنُودِ وَقَعَ الإخْتِيَارُ عَلَيْهِمْ خُصُوصًا لِيَكُونُوا أَبْطَالًا. لَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَبَدًا. كَانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَبْكِيَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

تَمَنَّى هنري لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُصْبِحَ بَطْلًا، وَلِلْحَظَةِ كَانَ عَلَى وَشِكِ الإقْيَامِ وَالانْضِمَامِ إِلَيْهِمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى المَعْرَكَةِ، لَكِنَّ الصُّعُوبَاتِ المُحِيطَةَ بِوَضْعِهِ بَدَأَتْ تَنْبِيهِ عَنْ عَزْمِهِ، وَأَصَابَهُ التَّرَدُّدُ.

لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً، لَكِنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ الْبِنَادِقِ حَوْلَهُ، وَيُمْكِنُهُ التَّقَاطُ إِحْدَاهَا. فَكَّرَ أَيْضًا أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِ الْعُنُورُ عَلَى كَتَيْبَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَطِيعُ الْقِتَالَ مَعَ أَيِّ كَتَيْبَةٍ أُخْرَى. بَدَأَ هُنْرِي يَتَحَرَّكُ إِلَى الْأَمَامِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا يُقَاوِمُ مَخَافَهُ.

وَفِي الزَّهَايَةِ تَغَلَّبَتِ اعْتِرَاضَاتُ هُنْرِي عَلَى شَجَاعَتِهِ. لَمْ يَكُنْ مُنْزَعًا لِلْعَايَةِ مِنْ قَرَارِهِ. فَعِنْدَمَا فَكَّرَ فِيهِ رَأَى أَنَّ الْمُسْكَلَاتِ الَّتِي يُوَاغِبُهَا عَوِيصَةٌ حَقًّا؛ وَالْآنَ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بَدَأَتْ مُسْكَلَاتُ أُخْرَى تُثِيرُ انْزِعَاجَهُ.

كَانَ يُعَانِي ظَمَأً شَدِيدًا. كَانَ وَجْهُهُ جَافًا حَتَّى إِنَّهُ شَعَرَ وَكَأَنَّ بَشَرَتَهُ سَتَتَشَقَّقُ. كُلُّ عَظْمَةٍ فِي جَسَدِهِ كَانَتْ تَوْلُمُهُ، وَقَدَمَاهُ كَانَتَا مُنْقَرِحَتَيْنِ. أَلَمَتُهُ مَعِدَتُهُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، وَأَصْبَحَ لَا يَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَةَ بِوُضُوحٍ. أَدْرَكَ هُنْرِي أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ بَطَلًا أَبَدًا. تَأَوَّهَ مِنْ فَرْطِ الْحُزْنِ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ بَعِيدًا.

ظَلَّ هُنْرِي قَرِيبًا مِنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ. كَانَتْ لَدَيْهِ رَغْبَةٌ كَبِيرَةٌ فِي رُؤْيَةِ الْقِتَالِ وَاسْتِطْلَاعِ الْأَحْبَارِ. كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ لِمَنْ سَيَكُونُ النَّصْرُ.

فَكَّرَ هُنْرِي أَنَّهُ فِي حَالَةِ هَزِيمَةٍ جَيْشِهِ، سَيَصُبُّ ذَلِكَ فِي مَصْلَحَتِهِ. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الْعَدِيدَ مِنَ الرِّجَالِ الشُّجْعَانَ سَيَلْوِدُونَ بِالْفِرَارِ إِذَا مَا دَحَرَهُمُ الْعَدُوُّ، وَحِينَهَا سَيَكُونُ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ، وَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ أَنَّهُ قَدْ لَازَ بِالْفِرَارِ قَبْلَ ذَلِكَ.

إِذَا خَسِرَ جَيْشُهُ الْحَرْبَ، فَسَيَكُونُ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ الصَّوَابَ بِهَرَبِهِ. سَيُثْبِتُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى اسْتِشْرَافِ مَا سَيَحْدُثُ، وَكَأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ التَّنَبُّؤَ بِالْمُسْتَقْبَلِ. كَانَ لِهَذَا الدَّلِيلِ أَهْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ لَدَى هُنْرِي؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ فِكْرَةَ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ شَيْئًا مُسِيئًا.

أَمَّا إِذَا انْتَصَرَ الْجَيْشُ، فَسَيَعْبُثُ هُنْرِي فِي مَازِقِهِ. كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ التَّفَكِيرَ فِي أُمُورٍ كَهَذِهِ أَمْرٌ بَغِيضٌ، وَنَعَتَ نَفْسَهُ بِالْوَعْدِ لِمُجَرَّدِ التَّفَكِيرِ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ جَالَتْ بِخَاطِرِ هُنْرِي فِكْرَةٌ أُخْرَى؛ فَصَحِيحٌ أَنَّ هَزِيمَةَ جَيْشِهِ سَتُنْقِذُهُ مِنْ فَعَلَتِهِ، لَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُجْدِي التَّفَكِيرِ فِي ذَلِكَ الْإِحْتِمَالِ. فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ جَيْشَهُ لَنْ يُهْزَمَ أَبَدًا.

فَكَرَّ هِنْرِي فِي اخْتِلَاقِ قِصَّةٍ جَيِّدَةٍ يَقْضُهَا عَلَى مَسَامِعِ الْجُنُودِ الْأَخْرَيْنِ فِي كَتِيبَتِهِ.
فَكَرَّ فِي أُمُورٍ عَدِيدَةٍ، لَكِنَّهَا جَمِيعًا كَانَتْ ضَعِيفَةً لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ تَصْدِيقَهَا.
تَخَيَّلَ مَشْهَدَ أَفْرَادِ الْكَتِيبَةِ كُلِّهِمْ وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ فَرَّ مِنَ الْمَعْرَكَةِ.
سَيَسْأَلُونَ: «أَيْنَ هِنْرِي فَلَيمَنج؟ لَقَدْ هَرَبَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ يَا إِلَهِي!»
تَخَيَّلَ هِنْرِي الْجَمِيعَ يُحَدِّثُونَ فِيهِ بِنَظَرَاتٍ مَلُؤَهَا الْكِرَاهِيَةُ أَيْنَمَا ذَهَبَ فِي الْمُعَسْكَرِ.
سَيَضْحَكُ الْجَمِيعُ مِنْهُ بِأَسْلُوبِ دَنْيَاءٍ، وَسَيَكُونُ مَحَطَّ سُخْرِيَةِ الْجَمِيعِ.

الفصل الرابع عشر

إِصَابَةُ حَرْبٍ

مَا إِنْ اخْتَفَى الْجُنُودُ الَّذِينَ كَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ عَنِ الْأَنْظَارِ حَتَّى رَأَى هُنْرِي كَثِيرِينَ آخَرِينَ قَادِمِينَ مِنَ الْعَابَاتِ وَعَبَرَ الْحُقُولِ. أَدْرَكَ هُنْرِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْرُبُونَ إِنْقَادًا لِحَيَاتِهِمْ. ائْتَفَعُوا بِجَوَارِهِ كَقَطِيعٍ مِنَ الْجَامُوسِ الْمَذْعُورِ، وَخَلَفَهُمْ تَمَوَّجَ الدُّخَانِ وَتَجَمَّعَ فَوْقَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ بَيْنَمَا اسْتَمَرَّ انْطِلَاقُ الْمُدَافِعِ.

اِنتَابَتْ هُنْرِي حَالَةً مِنَ الذُّعْرِ، وَحَدَّقَ فِي الْمَشْهَدِ أَمَامَهُ فِي ذُهُولٍ؛ لَقَدْ خَسِرَ الْجَيْشُ الْمَعْرَكَةَ. سُرِعَانَ مَا وَجَدَ هُنْرِي نَفْسَهُ وَسَطَ الْفَارِيِّينَ. حَاوَلَ أَنْ يَطْرَحَ بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ عَلَى الْقَرِيبِينَ مِنْهُ، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ. كَانَ الرَّجَالُ يَفْرُونَ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، وَأَخِيرًا، أَمْسَكَ هُنْرِي بِذِرَاعِ أَحَدِ الرَّجَالِ، وَتَمَائِلَ كِلَاهِمَا وَجَّهًا لِوَجْهِهِ.

قَالَ هُنْرِي مُتَلَعِّثًا: «لِمَاذَا...؟ لِمَاذَا...؟»

صَرَخَ الرَّجُلُ: «دَعْنِي! دَعْنِي!» كَانَ الرَّجُلُ يَلْهَثُ وَيَسْحَبُ نَفْسَهُ فِي هَيْجٍ: «دَعْنِي!»

تَمَتَّمَ هُنْرِي: «لِمَاذَا...؟ لِمَاذَا...؟»

صَاحَ الرَّجُلُ: «حَسَنًا، إِذْنًا!» وَصَرَبَ هُنْرِي فِي رَأْسِهِ وَلَاذًا بِالْفِرَارِ.

سَقَطَ هُنْرِي أَرْضًا، وَوَجَدَ صُعُوبَةً فِي الْوُقُوفِ ثَانِيَةً. وَعِنْدَمَا وَقَفَ أَخِيرًا، شَعَرَ بِالْوَهْنِ الشَّدِيدِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ ضَوْضَاءُ صَاحِبَةٍ فِي رَأْسِهِ. فِي النِّهَايَةِ نَجَحَ فِي الْإِنْتِقَالِ إِلَى الْحَشَائِشِ، وَشَعَرَ بِجُرْحٍ فِي أَعْلَى رَأْسِهِ.

رَأَى هُنْرِي بَعْضَ الْجُنُودِ وَالضُّبَابِ يُحَاوِلُونَ تَجْمِيعَ أَنْفُسِهِمْ لِلْعُودَةِ إِلَى الصُّفُوفِ. كَسَا ضَبَابُ الْمَسَاءِ الْأَزْرَقُ الْحَقْلَ، وَاكْتَسَتِ الْعَابَةُ بِظِلَالٍ قُرْمِزِيَّةٍ مُمْتَدَّةٍ، وَكَانَتْ هُنَاكَ

شارة الشجاعة الحمراء

سَحَابَةٌ وَحِيدَةٌ فِي السَّمَاءِ. تَرَكَ هِنْرِي الْمَشْهَدَ وَرَاءَهُ، وَمَا إِنَّ فَعَلَ حَتَّى سَمِعَ طَلَقَاتِ
الْبَنَائِقِ تُدَوِّي مُجَدِّدًا فَجَاءَ.

غَرِيبٌ يُقَدِّمُ الْعَوْنَ

تَسَارَعَتْ خُطُواتُ هِنري عِنْدَ حُلُولِ الْغَسَقِ. بَعْدَ فِتْرَةٍ، لَمْ يَعدُ جُرْحُهُ يُؤَلِّمُهُ. فَكَّرَ هِنري فِي مَوطِنِهِ أَثناءَ سَيرِهِ، وَأَخِيرًا بَلَغَ الْإِنْهائِكَ مِنْهُ كُلَّ مَبْلَغٍ، فَتَدَلَّى رَأْسُهُ إِلى الْأَمَامِ، وَانْحَنَتْ كَتِفَاهُ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ حِمْلًا ثَقِيلًا، وَأَصْبَحَ يَجُرُّ قَدَمَيْهِ عَلى الْأَرْضِ. فِي النِّهائِيَةِ سَمِعَ صَوْتًا مُبْتَهَجًا بِجِوارِ كَتِفِهِ يَقُولُ: «تَبْدُو بِحَالَةٍ سَيِّئَةٍ لِلْغَايَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

لَمْ يَرَفَعْ هِنري بَصَرَهُ، لَكِنَّهُ قَالَ: «بَلَى.»
أَمَسَكَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْمُبْتَهَجِ بِذِرَاعِ هِنري بِإِحْكامٍ.
قَالَ الرَّجُلُ ضَاحِكًا: «حَسَنًا، أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِكَ. الْمَجْمُوعَةُ كُلُّهَا ذَاهِبَةٌ فِي طَرِيقِكَ، وَأَظُنُّ أَنَّ بِاسْتِطَاعَتِنَا تَوْصِيْلَكَ.»

أثناءَ سَيرِهِمَا، سَأَلَ الرَّجُلُ هِنري عَمَّا رَأاهُ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا يَعْرِفُهُ عَن كَتِيبَةِ هِنري.
قَالَ الرَّجُلُ: «إِنَّهُمْ هُنَاكَ فِي قَلْبِ الْمَعْرَكَةِ، أَعْتَقِدُ أَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ أَخَذُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الْقِتالِ الْيَوْمِ. كُنْتُ أَسْتَسَلِّمُ بِضِعِّ مَرَّاتٍ. كَانَ هُنَاكَ صَراخٌ وَإِطلاقُ نارٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ. حَلَّ الظَّلَامُ، وَلَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ أَيْنَ أَنَا، أَوْ فِي أَيِّ جَانِبٍ أَكُونُ. كَيْفَ وَجَدْتَ طَرِيقَكَ إِلى هُنَا عَلى أَيِّ حَالٍ؟ فَكْتِيبَتِكَ بَعِيدَةٌ جِدًّا مِنْ هُنَا. أَظُنُّ أَنَّ بِإِمْكانِي العُثورَ عَلَيْهِمْ.»

أثناءَ البَحْثِ عَن كَتِيبَةِ هِنري، بَدَأَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْمُبْتَهَجِ وَكَأَنَّ لَدَيْهِ مَهارةً سَحرِيَّةً. كَانَ قَادِرًا عَلى شَقِّ طَرِيقِهِ بِسُهولَةٍ عَبرَ الغابَاتِ الْمُتَشابِكَةِ. وَكَلِّمًا مَرُوا بِأَناسٍ آخَرِينَ، أَبدى الرَّجُلُ ذِكاءَ الْمُحَقِّقِينَ وَشِجَاعَةَ الْأَبْطالِ. كَانَتْ الْمُشْكِلاتُ تَخْتَفِي أَمَامَهُ،

وَتَتَحَوَّلُ لِأَشْيَاءَ قَدْ تَسَاعَدُهُمَا فِي طَرِيقِهِمَا. كَانَ هِنْرِي يَنْتَحِي جَانِبًا عِنْدَمَا كَانَ رَفِيقُهُ
يُحَاوِلُ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَ الْعُودَةِ لِكِلَيْهِمَا.
بَدَتْ الْغَابَةُ وَكَأَنَّهَا مُكَتَبَةٌ بِرِجَالٍ يَرْكُضُونَ فِي دَوَائِرٍ وَقَدْ ضَلُّوا طَرِيقَهُمْ، لَكِنَّ رَفِيقَ
هِنْرِي تَجَاوَزَ بِهِ كُلَّ الْعَثَرَاتِ حَتَّى بَدَأَ يَضْحَكُ فِي سَعَادَةٍ وَرَضَى آخِرًا.
قَالَ الرَّجُلُ: «هَا قَدْ وَصَلْتَ، أَتَرَى تِلْكَ النَّارَ؟»
أَوْمَأَ هِنْرِي بِرَأْسِهِ، وَتَمَلَّكَهُ شُعُورٌ بِالْحَمَاقَةِ.
قَالَ الرَّجُلُ: «هَذِهِ كَتَيْبَتُكَ. إِلَى اللَّقَاءِ الْآنَ يَا فَتَى. أَتَمَنَّى لَكَ حَظًّا سَعِيدًا.»
أَمْسَكَتْ يَدَ الرَّجُلِ الدَّافِئَةَ الْقَوِيَّةَ بِأَصَابِعِ هِنْرِي الرَّقِيقَةِ هُنَيْهَةً، ثُمَّ سَمِعَ هِنْرِي
صَفِيرًا مُبْهِجًا أَثْنَاءَ ابْتِعَادِ الرَّجُلِ. كَانَ الرَّجُلُ وَدُودًا مَعَهُ، وَبَيْنَمَا رَاقَبَ هِنْرِي ابْتِعَادَهُ،
أَدْرَكَ فَجَاءَةً أَنَّهُ لَمْ يَرَ وَجْهَهُ قَطُّ.

الْعُودَةُ إِلَى الْمَعْسَكِ

اتَّجَهَ هنري بِبُطْءٍ نَحْوِ النَّارِ يُفَكِّرُ خَائِفًا فِي كَيْفِيَّةِ اسْتِقْبَالِ أَصْدِقَائِهِ لَهُ. كَانَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُمْ سَيَسْخَرُونَ مِنْهُ. فَكَّرَ فِي الإِخْتِبَاءِ فِي الظُّلَامِ، لَكِنَّهُ كَانَ مِنْهَكًا لِلْغَايَةِ وَقَدْ بَلَغَ مِنْهُ الأَلَمُ مَبْلَغَهُ.

اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى رِجَالًا يَنَامُونَ فَوْقَ الأَرْضِ بِجِوَارِ النَّارِ، وَفَجْأَةً اقْتَرَبَ مِنْهُ شَخْصٌ طَوِيلُ القَامَةِ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً.

صَاحَ الرَّجُلُ: «تَوَقَّفْ! تَوَقَّفْ!»

ارْتَبَكَ هنري لِحِظَةٍ، ثُمَّ اعْتَقَدَ أَنَّهُ تَعَرَّفَ عَلَى صَاحِبِ الصَّوْتِ.

قَالَ: «مَرْحَبًا، وِيلسون! هَلْ ... هَلْ هَذَا أَنْتُ؟»

انْحَفَضَتِ البُنْدُقِيَّةُ، وَتَقَدَّمَ وِيلسون بِبُطْءٍ، وَنَظَرَ فِي وَجْهِ هنري.

سَأَلَهُ وِيلسون: «أَهَذَا أَنْتَ يَا هنري؟ سَعِيدٌ بِرُؤْيَيْكَ يَا فَتَى، كُنْتُ قَدْ فَقدْتُ الأَمَلَ فِي

عُودَتِكَ.»

لَمْ يَكُنْ هنري يَقْوَى عَلَى الوُقُوفِ، وَحَاوَلَ سَرْدَ قِصَّتِهِ سَرِيعًا.

قَالَ: «نَعَمْ، نَعَمْ، لَقَدْ مَرَرْتُ بِوَقْتِ عَصِيبٍ. مَرَرْتُ بِكُلِّ الأَمَاكِينِ. انْفَصَلْتُ عَنِ الكَتِيبَةِ،

وَأُصِبتُ هُنَا فِي رَأْسِي؛ لَقَدْ حَدَسْتَنِي الطَّلُقَةُ. لَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا كَهَذَا قَطُّ، كَانَ وَضْعًا عَصِيبًا.

لَا أَعْلَمُ كَيْفَ انْفَصَلْتُ عَنِ الكَتِيبَةِ.»

تَحَرَّكَ وِيلسون مُسْرِعًا إِلَى الأَمَامِ، وَقَالَ: «مَاذَا، أُصِبتُ؟ لِمَاذَا لَمْ تُقُلْ هَذَا عَلَى الفورِ

أَيُّهَا الفَتَى المِسْكِينُ؟»

بَعْدَهَا حَرَجَ عَرِيفٌ مِنْ وَسْطِ الظَّلَامِ، وَقَالَ: «هنري! أأنت هنا؟ ظننت أنك قد رحلت منذ أربع ساعات. يا إلهي! إنهم يعاودون الظهور كل بضع دقائق. ظننا أننا فقدنا اثنين وأربعين رجلاً، لكن ها هم رجالنا يعودون. بهذا المعدل سيعود الجميع بحلول الصباح. أين كنت؟»

بدأ هنري في الكلام: «لقد انفصلت ...»

فأطعه ويلسون: «نعم، وقد أصيب في رأسي، يجب أن نعتني به في الحال.»
أخذ ويلسون والعريف هنري إلى أحد الأعطية بالقرب من النار، وبدأ الجنود الآخرون يمدون يد المساعدة ما إن رأوه. ربط العريف الجرح في رأس هنري. بينما كان هنري يستريح، نظر إلى الرجال الآخرين حول النار. كان بعضهم نائمين يحملون بنادقهم وسيوفهم، وكانت أجسادهم مغطاة بالطين والأوساخ، وثيابهم ممزقة. بدأ الجميع متعبين للغاية.

جلس هنري حزيناً حتى عاد ويلسون يحمل قرتين.

قال ويلسون: «حسناً يا هنري، ستكون بخير بعد قليل.»

ذكى ويلسون النار وحرك العصي فيها، ثم سقى هنري من القربة التي كانت تحتوي على قهوة باردة. شرب هنري كثيراً، ولطفت القهوة حلقه. وبعدما انتهى، تنهد تنهيدة سعادة وراحة. بعدها ربط ويلسون رأس هنري بمنديل كبير.

قال ويلسون وهو ينظر إلى ما فعل: «ها أنت ذا تبدو مثل الشيطان، لكن أراهن أنك الآن أفضل. أنت قوي يا هنري؛ حينما كنا ننظف جرحك لم تصرخ أو تتفوه بشيء، مع أن إصابات الرأس تكون خطيرة. استلق الآن واحصل على بعض الراحة.»
استلقى هنري في حذر، وتمدد وهو يطلق همهمات ارتياح. بدت الأرض كأنها أريكة مريحة.

لكنه قام فجأة وقال: «انتظر لحظة، أين ستنام؟»

لوح إليه صديقه.

قال: «هناك بالقرب منك.»

- «على أي شيء ستنام؟ فغطاؤك معي.»

ندم ويلسون: «اهداً واحلداً إلى النوم. لا تكن أحمق.»

الْعُودَةُ إِلَى الْمَعْسَكِ

عَنْدِيذٍ صَمَتَ هَنْرِي. تَسَلَّلَ شُعُورٌ بِالنُّعَاسِ فِي جَسَدِهِ كُلِّهِ. وَتَحْتَ الْغِطَاءِ الْمُرِيحِ
الدَّافِي وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى ذِرَاعِهِ وَأُغْمِضَتْ عَيْنَاهُ سَرِيعًا. وَعِنْدَمَا سَمِعَ أَصْوَاتَ إِطْلَاقِ النَّارِ
مِنْ بَعِيدٍ، تَسَاءَلَ: هَلْ يَنَامُ هَؤُلَاءِ الرَّجَالُ؟ أَطْلَقَ تَنْهِيدَةً طَوِيلَةً، وَأَنْكَمَشَ دَاخِلَ الْغِطَاءِ،
وَسُرِعَانَ مَا رَاحَ فِي النَّوْمِ مِثْلَ أَصْدِقَائِهِ.

شِجَارٌ دَاخِلَ الْمُعَسْكَرِ

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ هِنْرِي مِنْ نَوْمِهِ، شَعَرَ وَكَأَنَّهُ ظَلَّ نَائِمًا أَلْفَ سَنَةٍ. ارْتَجَفَ وَجْهُهُ عِنْدَمَا سَقَطَتْ عَلَيْهِ قَطْرَةٌ نَدَى بَارِدَةٌ، وَحَدَقَ بُرْهَةً فِي أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْمُتَطَايِرَةِ فَوْقَهُ. وَمِنْ بَعِيدِ اسْتَطَاعَ سَمَاعَ أَصْوَاتِ الْقِتَالِ.

كَانَ مُحَاطًا بِمَجْمُوعَاتٍ مِنَ الرِّجَالِ النَّائِمِينَ فِي أَوْضَاعٍ غَرِيبَةٍ بِلَا حِرَاكٍ، يُعْلُو الشُّحُوبُ وَجُوهُهُمْ. لِلْحِظَّةِ ظَنٌّ هِنْرِي أَنَّهُمْ جَمِيعًا مَوْتَى. بَعْدَهَا رَأَى وَيْلَسُونَ يَتَدَفَّأُ بِنَارٍ صَغِيرَةٍ، وَرَأَى بِضِعَّةِ رِجَالٍ يَتَحَرَّكُونَ وَسَطَ الضَّبَابِ، وَسَمِعَ صَوْتَ شَخْصٍ يَقْطَعُ الْأَحْشَابَ.

دَقَّتْ طُبُولُ الْحَرْبِ فَجْأَةً، وَسَمِعَ مِنْ بَعِيدِ صَوْتُ بُوَيْقٍ خَافَتْ. بَدَأَ الْجُنُودُ حَوْلَ هِنْرِي فِي الْاسْتَيْقَاطِ، وَرَأَى وَيْلَسُونَ أَنَّ هِنْرِي كَانَ مُسْتَيْقِظًا، فَسَأَلَهُ: «كَيْفَ حَالُكَ هَذَا الصَّبَاحَ يَا هِنْرِي؟»

تَنَاءَبَ هِنْرِي، كَانَ يَشْعُرُ بِثِقَلٍ فِي رَأْسِهِ، وَمَعِدَّتُهُ تُؤَلِّمُهُ.

قَالَ: «أَنَا مُتَعَبٌ كَثِيرًا.»

ثَبَّتَ وَيْلَسُونَ الْعِصَابَةَ عَلَى رَأْسِ هِنْرِي، ثُمَّ أَعَدَّ بَعْضَ الطَّعَامِ لِكِلَيْهِمَا. تَذَكَّرَ هِنْرِي كَيْفَ كَانَ صَدِيقُهُ يَتَصَرَّفُ عَلَى نَحْوِ مُخْتَلِفٍ لِلْعَايَةِ قَبْلَ مَعْرَكَتِهِمُ الْكُبْرَى. لَمْ يَعُدْ وَيْلَسُونَ ذَلِكَ الْجُنْدِيَّ الشَّابَّ عَالِي الصَّوْتِ، بَلْ أَصْبَحَ الْآنَ هَادِئًا وَانْتِقًا مِنْ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْضَبُ مِنَ التَّعْلِيقَاتِ التَّافِهَةِ الَّتِي يَسْمَعُهَا مِنَ الْأَحْرِينِ. تَسَاءَلَ هِنْرِي مَتَى حَلَّ هَذَا التَّغْيِيرُ بِصَدِيقِهِ.

وَصَعَ وَيَلْسُونُ فَنَجَانَ الْقَهْوَةَ عَلَى رُكْبَتِهِ، وَقَالَ: «كَيْفَ تَنْظُرُ إِلَى فُرْصَتِنَا فِي الْفَوْزِ يَا هِنْرِي؟ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ سَنَهْزِمُهُمْ؟»

فَكَرَّ هِنْرِي قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا عُدْنَا بِالزَّمَنِ إِلَى أَوَّلِ أَمْسٍ، كُنْتَ سَتَقُولُ إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى هَزِيمَتِهِمْ بِمُقَرِّدِكَ.»
بَدَأَ وَيَلْسُونُ مُنْدهِشًا.

سَأَلَ وَيَلْسُونُ: «هَلْ كُنْتُ سَأَقُولُ هَذَا حَقًّا؟ حَسَنًا، رُبَّمَا تَكُونُ مُحِقًّا، أَعْتَقِدُ أَنَّي كُنْتُ سَادِجًا كَبِيرًا فِي السَّابِقِ.»

حَاوَلَ هِنْرِي أَنْ يَعْتَذِرَ لِأَنَّهُ أَحْرَجَ صَدِيقَهُ، لَكِنَّ وَيَلْسُونُ لَمْ يَكُنْ يَحْتَاجُ اعْتِذَارًا. بَعْدَ فِتْرَةٍ قَالَ وَيَلْسُونُ إِنَّ الْعُدُوَّ الْآنَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ فِيهِ تَمَامًا.
قَالَ هِنْرِي: «لَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ هَذَا. بَدَأَ لِي مِنْ مَكَانِي أَمْسٍ أَنَّ تَلَقَّيْنَا مِنْهُمْ ضَرْبَةً قَاصِمَةً.»

سَأَلَ وَيَلْسُونُ: «أَتَظُنُّ ذَلِكَ؟ أَظُنُّ أَنَّ عَامِلِنَا هُمْ بِمُنْتَهَى الْقِسْوَةِ أَمْسٍ.»

قَالَ هِنْرِي: «عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَنْتَ لَمْ تَشْهَدْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرَكَةِ.»

فِي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلَهُمَا كَانَ الرَّجَالُ يَلْتَفُونَ حَوْلَ النَّيْرَانِ الصَّغِيرَةِ الْآخَرَى. وَفَجَاءَ تَصَاعَدَتْ أَصْوَاتٌ حَادَّةٌ. كَانَ هُنَاكَ جُنْدِيَّانِ يَضْحَكَانِ مِنْ رَجُلٍ ضَخِمِ الْجُنَّةِ مُلْتَحٍ حَتَّى تَارَتْ تَائِرَتُهُ، وَبَدَأَ أَنْ شَجَارًا سَيِّعٌ.

وَقَفَّ وَيَلْسُونُ وَفَرَّقَ بَيْنَ الرَّجَالِ الثَّلَاثَةِ.

قَالَ: «مَا جَدَوِي ذَلِكَ يَا رِجَالُ؟ سَنَوَاجِهُ الْعُدُوَّ بَعْدَ أَقَلِّ مِنْ سَاعَةٍ، فَلِمَاذَا يُقَاتِلُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟»

ذَكَرَ أَحَدَ الْجُنُودِ وَيَلْسُونُ بِالشُّجَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنْدِيٍّ آخَرَ مُنْذُ بَضْعَةِ أَيَّامٍ وَأَنَّهُ خَسِرَ.

قَالَ الْجُنْدِيُّ: «أَنْتَ لَا تُحِبُّ الشُّجَارَ مُنْذُ أَنْ خَسِرْتَ تِلْكَ الْمَرَّةَ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ.»

أَخِيرًا، هَدَأَ الرَّجَالُ، وَعَادَ وَيَلْسُونُ إِلَى مَكَانِهِ، وَسُرِعَانَ مَا عَادَ الْجُنُودُ يُمَارِحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَأَنَّهُمْ أَصْدِقَاءُ قَدَامَى.

قَالَ وَيَلْسُونُ: «أَكْرَهُ رُؤْيَةَ الْجُنُودِ يَتَشَاجِرُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.»

ضَحِكَ هِنْرِي، وَقَالَ: «لَقَدْ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا يَا وَيْلَسُونَ. إِنِّي أَتَذَكَّرُكَ عِنْدَمَا كُنْتُ مُسْتَعِدًّا
لِلشَّجَارِ حَتَّى مِنْ دُونِ تَفَكِيرٍ.»
قَالَ وَيْلَسُونَ: «أَظُنُّ أَنِّي كُنْتُ كَذَلِكَ.»
بَعْدَ دَقِيقَةٍ قَالَ هِنْرِي: «أَعْتَذِرُ لَوْ سَبَبْتُ لَكَ حَرْجًا.»
قَالَ وَيْلَسُونَ: «لَا تَشْغَلْ بِأَلِك يَا هِنْرِي.» ثُمَّ فَكَّرَ قَلِيلًا وَقَالَ: «ظَنَنَّا أَنَّ الْكُتَيْبَةَ
فَقَدَتْ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ رِجَالِهَا أُمْسٍ. ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ جَمِيعًا قُتِلُوا، لَكِنَّهُمْ ظَلُّوا يَعُودُونَ اللَّيْلَةَ
الْمَاضِيَةَ حَتَّى بَدَأْنَا لَمْ نَفْقِدْ سِوَى قَلِيلِينَ. كَانُوا مُنْتَشِرِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَاتِلُونَ مَعَ
الْكَتَائِبِ الْأُخْرَى تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلْتَ أَنْتَ.»
سَأَلَ هِنْرِي: «حَقًّا؟!»

الفصل الثامن عشر

الخطاب

كَانَ الْجُنُودُ يَقْفُونَ فِي وَضْعِ انْتِبَاهِهِ عَلَى جَانِبِ أَحَدِ الطَّرِيقِ يَنْتَظِرُونَ الْأَمْرَ بِالتَّقَدُّمِ، وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ هِنْرِي الطَّرْدَ الصَّغِيرَ الْمَلْفُوفَ دَاخِلَ مَظْرُوفٍ أَصْفَرَ بَاهِتِ الَّذِي أَعْطَاهُ لَهُ وَيَلْسُونُ مِنْ قَبْلُ.

نَادَى هِنْرِي عَلَى صَدِيقِهِ: «وَيْلْسُون!»

— «مَاذَا؟»

كَانَ وَيَلْسُونُ يُحَدِّقُ فِي الطَّرِيقِ، وَلِسَبَبِ غَرِيبٍ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ نَظْرَةٌ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَعَلَتْهُ يَبْدُو خَائِفًا لِلْغَايَةِ. شَعَرَ هِنْرِي أَنَّ عَلَيْهِ تَغْيِيرَ الْمَوْضُوعِ.

قَالَ هِنْرِي: «لَا شَيْءَ.»

قَرَّرَ هِنْرِي أَلَّا يُذَكِّرَهُ بِهَذَا الْيَوْمِ الَّذِي أَعْطَاهُ فِيهِ وَيَلْسُونُ الْمَظْرُوفَ عِنْدَمَا كَانَ خَائِفًا وَعَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ سَيَلْقَى حَنْفَهُ. تَذَكَّرَهُ بِلَحْظَةِ الْخَوْفِ هَذِهِ سَيَكُونُ فِعْلًا وَضِيْعًا.

اعْتَادَ هِنْرِي الْخَوْفَ مِنْ وَيَلْسُونِ لِأَنَّهُ سَرِيعُ الْغَضَبِ، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ خَطَرَتْ عَلَى بَالِ هِنْرِي خُطَّةٌ جَدِيدَةٌ؛ إِذَا سَأَلَهُ وَيَلْسُونُ عَمَّا حَدَثَ فِعْلًا أَمْسَ — إِذَا اكْتَشَفَ أَنَّ هِنْرِي قَدْ فَرَّ مِنَ الْمُعْرَكَةِ — فَسَوْفَ يُخْرِجُ هِنْرِي الْمَظْرُوفَ الصَّغِيرَ وَيُذَكِّرُهُ كَمَا كَانَ مَدْعُورًا. هَذَا الْخِطَابُ سِلَاحٌ فِي يَدِ هِنْرِي يُمَكِّنُهُ اسْتِخْدَامُهُ لِيَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنْ سُخْرِيَةِ الْآخَرِينَ.

فِي لَحْظَةٍ ضَعْفٍ نَادِرَةٍ، تَحَدَّثَ وَيَلْسُونُ عَنِ الْمَوْتِ وَهُوَ يَرْتَجِفُ، وَأَعْطَاهُ الْمَظْرُوفَ الَّذِي يَحْتَوِي بِالتَّأَكِيدِ عَلَى تَذَكَّارٍ لِأَقَارِبِهِ. شَعَرَ هِنْرِي الْآنَ أَنَّهُ أَفْضَلُ حَالًا مِنْ صَدِيقِهِ، بَلْ إِنَّهُ شَعَرَ بِالْأَسَى عَلَيْهِ.

استعاد هنري اعتزازه بنفسه. صحيح أنه ارتكب أخطاءً، لكن لن يعلم عنها أحد شيئاً. إنه لا يزال رجلاً في أعين الآخرين. لم يفكر هنري في المَعَارِكِ الوَشِيكِةِ، ولم يكن بحاجة للتفكير في كيفية التعامل معها. لقد تعلم أمس أنه لن يحاسب لو تحلى عن أداء واجبه.

إلى جانب ذلك، كان هنري يشعر بالثقة؛ إنه الآن أكثر إيماناً بنفسه وأكثر خبرة من ذي قبل. لقد تعرض للمخاطر ورأى أسوأ ما يمكن أن يرى، والآن يظن أن ما حدث لم يكن بهذا السوء.

فكّر هنري كيف يقتلون في حين أنه كان واضحاً أنهم اختاروه لعظم شأنه؟ وإلا، فكيف استطاع النجاة من كل ما تعرض له؟

تذكّر هنري كيف لاذ آخرون بالفرار من المعركة. وعندما فكر في وجوههم التي كان يملؤها الذعر، شعر أنه ليس مثلهم، لقد كانوا ضعفاء وفروا بسرعة بالغة أمام أعين الجميع، بينما فر هو بكبرياء دون أن يراه أحد.

سعل ويلسون بصوت عالٍ، فأفاق هنري من أحلام يقظته.

قال ويلسون: «هنري!»

ردّ هنري: «ماذا هناك؟»

سعل ويلسون مرّة أخرى، وظلّ يتحرّك هنا وهناك كأن شيئاً ما يورّقه. وأخيراً، قال ووجهه مكسوّ بحمرة الحجل: «يمكنك أن تُعيد لي الخطاب.»

قال هنري بعد لحظات: «حسناً يا ويلسون.»

فتح هنري سترته، وأخرج الخطاب من جيبه الداخلي، وأعطاه لويلسون الذي كان خجلاً، حتى إنه لم يستطع النظر إلى هنري.

كان هنري يتوانى في تلك الأثناء؛ لأنه كان يفكر في شيء يقوله بشأن الخطاب، لكنه لم يجد ما يقول، ولهذا قرّر أن يكون دمثاً مع صديقه وألا يسخر منه.

بعد ذلك فكر هنري مرّة أخرى في المَعَارِكِ التي شهدّها حتى الآن. كان موقناً أنّ بإمكانه الآن العودة إلى دياره وإشعال حماس الآخرين بحكاياته عن الحرب. تخيل هنري نفسه في غرفة يروي القصص على المستمعين، ورأى جمهوره وهم يتخيلونه بطلاً في كل اللحظات الملتهبة.

الفصل التاسع عشر

التَّحَرُّكُ

صَارَتِ الْمَعَارِكُ غَرِيبَةً الطَّابِعُ مَلْمَحًا لِهَذِهِ الْبُقْعَةِ مِنَ الْعَالَمِ؛ فَذَائِمًا تَسْمَعُ أَصْوَاتُ الْقُصْفِ وَهَدِيرِ الْمَدَافِعِ الْمَكْتُومِ فِي الْأَفْقِ.

صَدَرَ الْأَمْرُ لِكْتِيبَةِ هِنْرِي أَنْ تَحُلَّ مَحَلَّ كَتِيبَةِ أُخْرَى ظَلَّتْ قَابِعَةً فَتْرَةً طَوِيلَةً دَاخِلَ بَعْضِ الْخَنَائِقِ الرَّطْبَةِ. أَحَاطَتْ أَصْوَاتُ الْقِتَالِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَانْبَعَثَ الصُّجُجُ مِنَ الْغَابَةِ أَمَامَهُمْ مُبَاشَرَةً وَعَلَى يَسَارِهِمْ، بَيْنَمَا زَادَتِ الْأَصْوَاتُ عَلَى يَمِينِهِمْ سُوءًا كُلَّ دَقِيقَةٍ، وَسُرْعَانَ مَا تَعَدَّرَ سَمَاعُ صَوْتِ أَحَدٍ.

أَرَادَ هِنْرِي أَنْ يُمَازِحَ رِفَاقَهُ، لَكِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ. أَخِيرًا تَوَقَّفَتْ أَصْوَاتُ الطَّلَقَاتِ وَبَدَأَتِ الشَّائِعَاتُ تَسْرِي بَيْنَ الرِّجَالِ مِنْ جَدِيدٍ. تَحَدَّثَ الْجُنُودُ عَنِ الْمَعَارِكِ الْأُخْرَى وَالْكَوَارِثِ الَّتِي نَجَوْا مِنْهَا.

وَعِنْدَمَا انْطَلَقَتْ أَصْوَاتُ الْمَدَافِعِ مِنْ جَدِيدٍ، بَدَأَ الْبُؤْسُ عَلَى وُجُوهِ الْجُنُودِ وَبَدَءُوا يُعْمَغَمُونَ، وَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ: «مَا الَّذِي يُمَكِّنُنَا فِعْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟» سَمِعُوا شَائِعَاتٍ أَنْ جَيْشَهُمْ كَانَ يَخْسِرُ الْحَرْبَ.

قَبْلَ أَنْ يَنْقَشِعَ الضَّبَابُ، تَقَدَّمَتِ الْكَتِيبَةُ بِحَدَرٍ دَاخِلَ الْغَابَاتِ. كَانَ رِجَالُ الْعَدُوِّ يُشَاهِدُونَ أَحْيَانًا وَهُمْ يُسْرِعُونَ وَسَطَ الْأَشْجَارِ وَالْحُقُولِ الصَّغِيرَةِ، وَكَانُوا يَصِيحُونَ مُتَحَمِّسِينَ سَعْدَاءَ.

عِنْدَمَا رَأَى هِنْرِي ذَلِكَ، تَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ، وَصَاحَ: «إِنَّنَا خَاضِعُونَ لِسَيْطَرَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْحَمَقَى!»

قَالَ أَحَدُ رِفَاقِهِ: «كَثِيرُونَ قَالُوا هَذَا الْكَلَامَ الْيَوْمَ.»

بَدَأَ هُنْرِي يَشْكُو بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ قَائِدِ الْجَيْشِ، لَكِنَّ وَيَلْسُونِ أَوْقَفَهُ.
 قَالَ بِصَوْتٍ مُرْهَقٍ: «لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُخْطِئٌ يَا هُنْرِي. لَقَدْ بَدَّلَ مَا فِي وَسْعِهِ، وَمِنْ سَوْءِ
 حَظَّنَا أَنْ نَخْسَرَ الْحَرْبَ.»
 قَالَ هُنْرِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «أَلَمْ نَحَارِبْ كَالشَّيَاطِينِ؟ أَلَمْ نَفْعَلْ كُلَّ مَا بِاسْتِطَاعَةٍ
 الرَّجَالِ فِعْلُهُ؟»

شَعَرَ هُنْرِي بِدَهْشَةٍ خَفِيَّةٍ مِمَّا قَالَهُ. شَعَرَ بِالذَّنْبِ لِحِظَةٍ، لَكِنَّ لَمْ يُشَكِّكَ أَحَدٌ فِي
 حَقِّهِ لِأَنَّ يَتَحَدَّثَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَسُرْعَانَ مَا عَادَتْ إِلَيْهِ شَجَاعَتُهُ.
 قَالَ وَيَلْسُونِ: «لَنْ يَقُولَ أَحَدٌ إِنَّنَا لَمْ نُحَارِبْ بِصَرَاوَةٍ، لَكِنَّ الْحِظَّ لَمْ يَكُنْ حَلِيفِنَا.»
 قَالَ هُنْرِي: «حَسَنًا إِذْنُ، إِنْ كُنَّا قَدْ قَاتَلْنَا جَيِّدًا هَكَذَا، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ حَطَأُ الْجِنْرَالِ. لَا
 أَرَى أَيَّ مَنْطِقٍ فِي أَنْ نُحَارِبَ طِيلَةَ الْوَقْتِ وَنَخْسَرَ دَائِمًا بِسَبَبِ حِمَاقَتِهِ.»
 قَالَ رَجُلٌ كَانَ يَسِيرُ بِجَوَارِهِ: «لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّكَ حَارَبْتَ جَيْشَ الْعَدُوِّ بِأَكْمَلِهِ أَمْسِ يَا
 هُنْرِي.»

عِنْدَهَا صَمَتَ هُنْرِي. كَانَ يَخْشَى أَنْ يَسْأَلَهُ الْآخَرُونَ عَنْ مَزِيدٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ حَوْلَ
 مَا حَدَثَ لَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ. لَمْ يَرِدْ لَفَتْ الْإِنْتِبَاهِ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.
 فِي النِّهَايَةِ، تَوَقَّفَتِ الْكُتَيْبَةُ فِي مَكَانٍ خَالٍ تَحِيطُ بِهِمْ أَصْوَاتُ الْمَعْرَكَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.
 تَدَمَّرَ هُنْرِي قَائِلًا: «دَائِمًا نَطَارِدُ كَالْفِئْرَانِ. لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ إِلَى أَيِّنَ أَوْ لِمَاذَا نَتَحَرَّكُ.
 فَقَطْ يَحْرُكُونَنَا هُنَا وَهُنَاكَ. الْآنَ لَدَى الْعَدُوِّ كُلِّ الْوَقْتِ لِلِاسْتِعْدَادِ لَنَا، وَنَحْنُ قَدْ وَصَلْنَا
 لِلتَّو. لَا تَحَدِّثْنِي عَنْ سَوْءِ الْحِظِّ، فَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ. إِنَّهُ هَذَا الْعَجُوزُ اللَّعِينُ ...»
 قَاطَعَهُ وَيَلْسُونِ وَقَالَ لَهُ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ وَاتِّقِ: «سَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ فِي
 النِّهَايَةِ.»

اِكْتَمَلَ طُلُوعُ النَّهَارِ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ بِكَامِلِ أَشْعَتِهَا عَلَى الْغَابَةِ. انْطَلَقَتْ إِحْدَى
 الطَّلَقَاتِ فِي الْغَابَةِ أَمَامَ الْكُتَيْبَةِ، وَأَعْقَبَتْهَا عِدَّةُ طَلَقَاتٍ بَعْدَ أَقَلِّ مِنْ دَقِيقَةٍ. اجْتَاَحَتِ
 الْغَابَاتِ جَلْبَةً مُدَوِيَّةً مِنَ الْإِشْتِبَاكَاتِ وَالصَّرَاعَاتِ، وَأَصْبَحَ صَجِيحُ الْمَعْرَكَةِ رَعْدًا مَلِيئًا
 بِانْفِجَارَاتٍ مُمْتَدَّةٍ.

التَّحْرُكُ

انْتَظَرَ أَفْرَادَ الْكُتَيْبَةِ. كَانُوا مُنْهَكِينَ وَلَمْ يَأْخُذُوا قِسْطًا كَافِيًا مِنَ النَّوْمِ، فَضَلَّ عَنْ
أَنْهُمْ عَمَلُوا كَثِيرًا. نَظَرُوا نَحْوَ الْمَعْرَكَةِ الْوَشِيكَةِ، وَانْتَظَرُوا الصِّدْمَةَ. ارْتَدَّ بَعْضُهُمْ إِلَى
الْوَرَاءِ قَلِيلًا خَوْفًا مِنَ الْأَصْوَاتِ، بَيْنَمَا ثَبَتَ الْبَاقُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ.

الفصل العشرون

بَطْلُ حَقِيقِي

عِنْدَمَا رَأَى هِنْرِي الْعُدُوَّ يَتَّجِهَ نَحْوَهُمْ، انْتَابَتْهُ نَوْبَةٌ غَضِبٍ مُفَاجِئَةً. ضَرَبَ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ، وَحَدَّقَ فِي الدُّخَانِ الْمُتَصَاعِدِ وَالْمُقْتَرِبِ بِنَظْرَةٍ مَلُؤَهَا الْكَرَاهِيَةُ. شَعَرَ بِالْغَضَبِ لِأَنَّ الْعُدُوَّ لَنْ يَتْرَكَهُ يَسْتَرِيحُ، وَلَنْ يُعْطِيَهُ أَيَّ وَقْتٍ لِلْجُلُوسِ وَالتَّفَكِيرِ. حَارَبَ هِنْرِي أَمْسٍ، وَفَرَّ سَرِيعًا. لَقَدْ خَاضَ عِدَّةَ مُغَامَرَاتٍ، وَشَعَرَ أَنَّ مِنْ حَقِّهِ الْحُصُولَ عَلَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ. كَانَ مُرْهَقًا لِلْغَايَةِ.

لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الرِّجَالَ الْأَخْرَيْنَ لَا يَكْلُونِ، وَكَانَ هِنْرِي يُكِنُّ لَهُمْ كَرَاهِيَةً بِالِغَةِ. لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَطَارَدَ بَعْدَ الْآنِ. انْحَنَى خَلْفَ شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ، وَصَرَ عَلَى أَسْنَانِهِ. لَا تَزَالُ الْعِصَابَةُ مَرْبُوطَةً حَوْلَ رَأْسِهِ، وَبِهَا بُقْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الدِّمَاءِ. كَانَ شَعْرُهُ أَشْعَثَ يَتَدَلَّى فَوْقَ الْعِصَابَةِ مُغَطِّيًا جَبِينَهُ. وَكَانَتْ أَزْرَارُ سُرْتَيْهِ وَقَمِيصِهِ مَفْتُوحَةً عِنْدَ الْعُنُقِ، وَأَصَابِعُهُ مُلْتَفَّةً فِي تَوْتُرٍ حَوْلَ بُنْدُقِيَّتِهِ. شَعَرَ أَنَّ الْعُدُوَّ يَهِينُهُ هُوَ وَأَصْدِقَاءَهُ. كَانُوا يُعَامِلُونَ وَكَأَنَّهُمْ ضِعَافٌ أَدِلَاءُ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَارَ لِذَلِكَ. أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَهُمْ.

انْطَلَقَتْ أَمَامَهُمْ إِحْدَى الطَّلَاقَاتِ النَّارِيَّةِ، وَعَلَى الْفُورِ تَبِعَتْهَا طَلَقَاتُ أُخْرَى. وَبَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَتْ كَتَيْبَتُهُ تُطَلِّقُ النَّيْرَانَ. اسْتَقَرَّ حَاجِزٌ كَثِيفٌ مِنَ الدُّخَانِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ. كَانَ هِنْرِي يُحَارِبُ بِبَسَالَةٍ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعِي أَنَّهُ وَقِفٌ. وَجِنَمًا فَقَدْ تَوَازَنَهُ وَسَقَطَ أَرْضًا، هَبَّ وَاقِفًا عَلَى الْفُورِ. ارْتَفَعَتْ حَرَارَةُ أُسْطُوَانَةِ بُنْدُقِيَّتِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُنَحْمَلَهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ آخَرَ، لَكِنَّهُ اسْتَمَرَ فِي إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ الْيَوْمِ.

ظَلَّ يُقَاتِلُ وَيُطَلِّقُ النَّيْرَانَ مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ حَتَّى بَعْدَ تَوَقُّفِ الْجَمِيعِ. كَانَ كُلُّ تَرْكِيزِهِ مُنْصَبًّا عَلَى الْقِتَالِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَلْحِظِ الْهُدُوءَ الَّذِي سَادَ الْمَكَانَ. وَأَخِيرًا سَمِعَ ضَحِكَةً عَالِيَةً وَصَوْتًا بَدَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ.

صَاحَ أَحَدُ الْجُنُودِ: «أَيُّهَا الْأَحْمَقُ! أَلَمْ تَتَعَلَّمْ أَنَّ تَوَقُّفَ الضَّرْبِ عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ مَا تَصُوبُ تَجَاهَهُ؟»

الْتَفَتَ هنري ونظرَ إلى رفاقِهِ. كَانُوا جَمِيعًا يُحَدِّقُونَ فِيهِ فِي دَهْشَةٍ. وَعِنْدَمَا نَظَرَ إِلَى الْأَمَامِ مَرَّةً أُخْرَى، رَأَى أَرْضًا خَالِيَةً يعلوها الدُّخَانُ. بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِرْتِبَاكُ لِحَظَّةً، ثُمَّ انْتَبَهَ إِلَى مَا كَانَ يَرَى.

قَالَ هنري: «أوه..»

عَادَ هنري إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَأَلْقَى بِثِقَلِهِ عَلَى الْأَرْضِ. كَانَ الْمَلَاذِمُ يَصِيحُ فِي حَمَاسٍ، وَقَالَ لهنري: «لَوْ كَانَ لَدَيَّ عَشْرَةُ أَلْفِ قَطِّ بَرِّيِّ مِثْلِكَ، لَرَبِحْتُ هَذِهِ الْحَرْبَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ.»

غَمَّعَ بَعْضُ الْجُنُودِ، وَنَظَرُوا إِلَى هنري فِي دَهْشَةٍ. تَقَدَّمَ وَيلسون نَحْوَهُ وَسَأَلَهُ: «هَلْ أَنْتِ بِخَيْرٍ يَا فليمنج؟ أَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ؟ أَلَمْ يُصِيبَكَ مَكْرُوهٌ؟»

رَدَّ هنري فِي صُعُوبَةٍ: «كَلَّا.»

أَدْرَكَ هنري أَنَّهُ كَانَ يُحَارِبُ كَالْحَيَوَانَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ صَعْبًا. لَقَدْ بَدَّلَ جُهْدًا لِيَتَغَلَّبَ عَلَى خَوْفِهِ، وَالآنَ أَصْبَحَ يَسْتَحِقُّ لِقَابَ الْبَطْلِ. إِنَّهُ حَتَّى لَمْ يُلَاحِظْ حَدُوثَ ذَلِكَ. تَمَدَّدَ هنري عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يَسْتَمْتِعُ بِنَظَرَاتِ الْأَخْرِيِّ لَه مِنْ وَقْتِ لِأَخْرٍ. كَانَتْ وُجُوهُهُمْ مُتَسَخِّةً مِنْ أَثَرِ الْبَارُودِ. كَانُوا يَتَصَبَّبُونَ عَرَقًا، وَيَنْتَفِسُونَ بِصُعُوبَةٍ.

قَالَ الْمَلَاذِمُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «أَحْسَنْتُمْ!» كَانَ سَعِيدًا لِلْغَايَةِ بِأَدَاءِ الْكُتَيْبَةِ، وَأَخَذَ يَسِيرُ بَيْنَهُمْ ذَهَابًا وَإِيَابًا. كَانَ دَائِمَ الْحَرَكَةِ مُتَحَمِّسًا، بَلْ كَانَ يَضْحَكُ أحيانًا.

قَالَ أَحَدُ الْجُنُودِ: «أَرَاهُنَّ أَنَّ الْجَيْشَ لَنْ يَرَى كُتَيْبَةً مِثْلَنَا أَبَدًا!»

قَالَ آخَرُ: «مَنْ دُونَ شَكًّا!»

وَقَالَ تَالِثٌ: «كُلَّمَا ضَعَطُوا عَلَيْنَا، أَخْرَجُوا أَفْضَلَ مَا لَدَيْنَا.»

قَالَ آخَرُ: «لَقَدْ فَقَدُوا رِجَالًا كَثِيرِينَ.»

رَدَّ آخَرُ: «هَذَا صَحِيحٌ، وَلَوْ عَادُوا مَرَّةً أُخْرَى لَفَقَدُوا الْمَرِيدَ.»

بَطْلُ حَقِيقِي

كَانَ لَا يَزَالُ هُنَاكَ ضَجِيجٌ فِي الْعَابَةِ. وَمِنْ بَعِيدِ بَيْنِ الْأَشْجَارِ جَاءَ صَوْتُ قَعَقَعَةِ
إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ. تَصَاعَدَتْ غَيْمَةٌ دَاكِنَةٌ مِنَ الدُّحَانِ إِلَى السَّمَاءِ بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ الَّتِي كَانَتْ
تُشْرِقُ وَسَطَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ.

الفصل الحادي والعشرون

حَوَازٌ

كَانَ أَمَامَ الْجُنُودِ غَيْرِ الْمُنْظَمِينَ دَقَائِقُ قَلِيلَةٍ لَيْسْتَرِيحُوا، لَكِنْ تَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْقِتَالِ فِي الْغَايَةِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. بَدَأَ وَكَأَنَّ الْأَشْجَارَ تَرْتَجِفُ وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ مِنْ تَدَاوُعِ الرَّجَالِ. أَنْصَتَتْ كَتَيْبَةُ هِنْرِي إِلَى أَصْوَاتِ الصَّخَبِ.

كَانَ الْجَمِيعُ ظَمَاءً، وَقَالَ وَيْلَسُونَ إِنَّهُ سَمِعَ عَنْ جَدُولِ مَاءٍ قَرِيبٍ، وَتَطَوَّعَ لِلذَّهَابِ وَإِحْضَارِ الْمَاءِ. عَرَضَ هِنْرِي الْمُسَاعَدَةَ، وَعَلَى الْفُورِ الْإِقْبَتِ إِلَيْهِمْ قَرَبَ الْمِيَاهِ.

قَالَ رَجُلٌ: «أَمْلَأْ قَرْبِي؟»

وَقَالَ آخَرٌ: «وَأَنَا أَيْضًا.»

وَقَالَ آخَرُونَ: «وَنَحْنُ أَيْضًا.»

عَادَ هِنْرِي وَوَيْلَسُونَ يَحْمِلَانِ الْعَدِيدَ مِنَ الْقَرَبِ، وَظَلًّا يَبْحَثَانِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، لَكِنْ عِنْدَمَا لَمْ يَجِدَا جَدُولَ الْمَاءِ، قَرَّرَا الْعُودَةَ.

وَمِنْ مَكَانِهِمَا، اسْتَطَاعَا رُؤْيَةَ صُورَةٍ أَوْضَحَ لِمَيْدَانِ الْمُعْرَكَةِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَا فِيهِ مَعَ كَتَيْبَتَيْهِمَا. اسْتَطَاعَا رُؤْيَةَ الْعَدِيدِ مِنْ سُحْبِ الدُّخَانِ الدَّاكِنَةِ حَيْثُ تُحَارِبُ الْكُتَّابُ الْأُخْرَى، وَاسْتَطَاعَا أَيْضًا رُؤْيَةَ جُزءٍ مِنْ مَنْزِلٍ فِيمَا وَرَاءَ الْأَشْجَارِ يَحْتَرِقُ وَيَنْصَاعِدُ مِنْهُ الدُّخَانُ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَأْيَا كَتَيْبَتَيْهِمَا. كَانَ التُّلُّ خَلْفَهُمَا مُكْتَظًّا بِالْكَتَائِبِ الْمُتَقَهِّرَةِ.

نَظَرَ هِنْرِي وَوَيْلَسُونَ إِلَى الْغَايَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُمَا، فَوَجَدَا جَنْزَالًا وَمَعَهُ مُسَاعِدُوهُ يَمْتَطُونَ جِيَادَهُمْ. مَرُّوا عَلَى جُنْدِيٍّ جَرِيحٍ دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا. وَبَعْدَ لِحْظَةٍ تَوَجَّهَ ضَابِطٌ آخَرَ عَلَى جَوَادِهِ نَحْوَ الْجَنْزَالِ. يَبْدُو أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَلْمَحْ هِنْرِي وَصَدِيقَهُ؛ وَلِذَا ظَلَّ قَرِيبَيْنِ يُحَاوِلَانِ الْإِسْتِمَاعَ لِمَا يَقُولُهُ الْجَنْزَالُ.

قَالَ الْجِنْرَالُ: «تَسْتَعِدُّ قُوَّاتِ الْعُدُوِّ هُنَاكَ لِشَنْ هُجُومِ آخَرَ.» كَانَ يَتَحَدَّثُ فِي هُدُوءٍ وَكَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَلَأِسِ الضَّابِطِ. «أَخْشَى أَنَّهُمْ سَيَخْتَرِقُونَ صُفُوفَنَا مَا لَمْ نَتَحَرَّكَ كَالرَّعْدِ لِإِيْقَافِهِمْ.»

قَالَ الضَّابِطُ غَاضِبًا: «مَنْ الصَّعْبِ التَّصَدَّى لَهُمْ.»
قَالَ الْجِنْرَالُ: «هَذَا مَا أَتَوَقَّعُهُ أَيضًا.» ثُمَّ بَدَأَ يَتَحَدَّثُ سَرِيعًا وَبِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ مَعَ مُسَاعِدِيهِ. لَمْ يَسْمَعْ هنري وويلسون شيئًا آخَرَ إِلَى أَنْ سَأَلَ الْجِنْرَالُ الضَّابِطَ: «أَيُّ الْكِتَابِ يُمَكِّنُكَ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهَا؟»
فَكَرَّ الضَّابِطُ ثُمَّ قَالَ: «الْكِتَابِيَّةُ رَقْمُ ٣٠٤. إِنَّهُمْ عَدِيمُو الْجَدْوَى، يُحَارِبُونَ وَكَأَنَّهُمْ يَمْتَطُونَ بِغَالًا. يُمَكِّنُنِي الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُمْ بِسُهُولَةٍ.»

نَظَرَ هنري وويلسون أَحَدَهُمَا لِلْآخَرِ فِي دَهْشَةٍ؛ فَالْكِتَابِيَّةُ رَقْمُ ٣٠٤ هِيَ كِتَابِيَّتُهُمَا. وَتَحَدَّثَ الْجِنْرَالُ بَعْدَهَا بِجِدَّةٍ: «جَهِّزْ تِلْكَ الْكِتَابِيَّةَ إِذْنًا. سَأُرَاقِبُ الْمَعْرَكَةَ مِنْ هُنَا، وَأُصْدِرُ الْأَمْرَ بِتَوْقِيتِ الْبَدْءِ. سَوْفَ يَنْتَهِي الْأَمْرُ فِي غُضُونِ خَمْسِ دَقَائِقٍ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ رَاكِبِي الْبِغَالِ سَيَنْجُونَ مِنْ ذَلِكَ.»

ابْتَسَمَ الضَّابِطُ وَالْجِنْرَالُ وَهَمَّا يَفْتَرِقَانِ. أَسْرَعَ هنري وويلسون بِالْعُودَةِ إِلَى كِتَابِيَّتِهِمَا وَالذُّعْرُ يَكْسُو وَجْهَيْهِمَا. وَمَعَ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَسْتَعْرِقْ سِوَى بَضْعِ دَقَائِقٍ، شَعَرَ هنري وَكَأَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي الْعُمْرِ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً.

أَدْرَكَ هنري أَنَّهُ لَا يَعْنِي أَيَّ شَيْءٍ لِلْجَيْشِ. تَحَدَّثَ الضَّابِطُ عَنْ كِتَابِيَّتِهِ وَكَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَكْنَسَةٍ. وَعِنْدَمَا عَادَا، أَخْبَرَا الْجَمِيعَ أَنَّهُمْ سَيُهَاجِمُونَ الْعُدُوَّ فِي غُضُونِ دَقَائِقٍ.

قَالَ الْمَلَأِزِمُ وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ ابْتِسَامَةٌ: «هُجُومٌ؟ نَحْنُ نَقَاتِلُ الْآنَ إِذْنًا!»
رَأَى الرَّجَالَ شَخْصَيْنِ فَوْقَ صَهْوَتِي جَوَادِبِهِمَا عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ؛ الْأَوَّلُ قَائِدُ الْكِتَابِيَّةِ، وَالثَّانِي الضَّابِطُ الَّذِي تَلَقَّى الْأوامِرَ مِنَ الْجِنْرَالِ. كَانَا يَتَحَدَّثَانِ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ، وَيُشِيرَانِ نَحْوَ الْكِتَابِيَّةِ.

بَدَأَ الضُّبَّاطُ فِي تَقْسِيمِ الرَّجَالِ إِلَى مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ. وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ كُلُّ فَرْدٍ فِي الْكِتَابِيَّةِ مُشْدُودَ الْقَامَةِ يَأْخُذُ نَفْسًا عَمِيقًا. كَانُوا يُرَاقِبُونَ الْغَابَةَ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ صُجَيْجُ الْمَعْرَكَةِ الْكُبْرَى بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ. بَدَأَ سَائِرُ الْعَالَمِ مُنْشَغَلًا بِأَشْيَاءٍ أُخْرَى. وَكَانَ هَذَا الْقِتَالُ مِنْ نَصِيبِ تِلْكَ الْكِتَابِيَّةِ وَحْدَهَا.

نَظَرَ هَنْرِي وَوَيْلسونَ أَحَدَهُمَا إِلَى الْآخَرِ. لَمْ يُخْبِرَا أَحَدًا بِالْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ
الْجِنَرَالِ وَالضَّابِطِ حَوْلَ كَتَيْبَتِهِمَا، وَكَيْفَ أَنَّ حَيَاتَهُمْ لَا تُسَاوِي شَيْئًا. لَقَدْ شُبِّهُوا بِرَاكِبِي
الْبِغَالِ. لَا يَتَوَقَّعُ أَنَّهُمْ سَيَنْجُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاجَهَةِ. لَكِنَّهُ سَرٌّ بَيْنَ هَنْرِي وَوَيْلسونَ، وَرَعَمَ
هَذَا فَكِلَاهُمَا يَرَى الْخَوْفَ فِي وَجْهِ الْآخَرِ. نَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ وَأَوْمَأَ مُوَافَقِينَ عِنْدَمَا قَالَ
جُنْدِيٌّ بِالْقُرْبِ مِنْهُمَا بِنَبْرَةٍ خَائِفَةٍ: «سَيْلَتَهُمُونَنَا!»

عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ الْحَقْلِ

حَدَّقَ هُنْرِي النَّظَرَ فِي الْأَرْضِ أَمَامَهُ، وَبَدَأَ لَهُ أَنَّ الْأَشْجَارَ تُخْفِي وَرَاءَهَا كُلَّ مَظَاهِرِ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَتَى بَدَأَتِ الْكُنَيْبَةُ فِي الْقِتَالِ، لَكِنَّهُ رَأَى بِطَرْفِ عَيْنِهِ أَحَدَ الضُّبَّاطِ عَلَى جَوَائِدِهِ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْأَمَامِ. فَجَاءَهُ شَعْرَ هُنْرِي بِحَرَكَةِ الْجُنُودِ، وَتَقَدَّمَتِ الْكُنَيْبَةُ إِلَى الْأَمَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَجِدَارٍ يَسْقُطُ أَرْضًا. ظَلَّ هُنْرِي وَقْتًا قَلِيلًا يَتَحَرَّكُ بِقُوَّةِ الدَّفْعِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوْعِبَ الْمَوْقِفَ. فَفَزَّ وَبَدَأَ يَجْرِي يَائِسًا وَكَأَنَّهُ جُنْدِيٌّ فَقَدَ عَقْلَهُ.

جَاءَتْ صَيْحَاتُ الْعَدُوِّ وَطَلَقَاتُ النَّيْرَانِ مِنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ. كَانَ الْجُنُودُ يَنْسَاقُونَ حَوْلَ هُنْرِي. وَسُرِعَانَ مَا وَصَلَتِ الْكُنَيْبَةُ إِلَى مَنْطِقَةِ خَالِيَةِ مِنَ الْأَشْجَارِ حَيْثُ اسْتَطَاعَ هُنْرِي أَنْ يَرَى بِوُضُوحٍ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ؛ كُلَّ وَرْقَةٍ نَبَاتٍ، وَكُلَّ جَذَعِ شَجَرَةٍ بُنْيٍ، وَوُجُوهَ الْجُنُودِ بِنَظَرَاتِهِمْ الْمُحَدِقَةَ وَوُجُوهَهُمُ الَّتِي كَانَتْ تَتَصَبَّبُ عَرَقًا.

بَعْدَ الْجَرْيِ مَسَافَةً بَدَتْ وَكَأَنَّهَا أُمِّيَالٌ، أَبْطَأَتِ الْكُنَيْبَةُ ثُمَّ تَوَقَّفَتْ. وَعِنْدَهَا عَلَى الْفُورِ تَعَالَتْ أَصْوَاتُ النَّيْرَانِ الْبُعِيدَةِ وَانْتَشَرَ الدُّخَانُ الْكَثِيفُ حَوْلَهُمْ.

اسْتَطَاعَ الْجُنُودُ بَعْدَ أَنْ تَوَقَّفُوا أَنْ يَرَوْا الرَّجَالَ الَّذِينَ سَقَطُوا قَتْلَى، أَوْ الْجَرْحَى الَّذِينَ كَانُوا يَتَأَلَّمُونَ. وَلِلْحَظَّةِ بَدَأَ الْجُنُودُ فِي حَالَةِ ذُهُولٍ غَيْرِ قَادِرِينَ عَلَى الْحَرَكَةِ. كَانَ التَّوَقُّفُ غَرِيبًا وَالصَّمْتُ غَرِيبًا أَيْضًا. بَعْدَهَا صَاحَ الْمُلَازِمُ حَتَّى تَعَالَى صَوْتُهُ عَلَى كُلِّ الْأَصْوَاتِ الْآخَرَى: «هَيَّا أَيُّهَا الْحَمَقَى! هَيَّا! لَا يُمْكِنُكُمُ الْبَقَاءُ هُنَا. وَاصِلُوا التَّحَرُّك!» وَزَادَ عَلَيْهِ كَلِمًا آخَرَ، لَكِنَّ مَعْظَمَهُ لَمْ يَكُنْ مَفْهُومًا.

حَدَقَ الْجُنُودُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَصْرُخُ، وَأَخِيرًا قَفَزَ وَيَلْسُونَ إِلَى الْأَمَامِ وَنَزَلَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَأَطْلَقَ نِيرَانٌ بِنُدْفَتَيْهِ فِي الْغَابَةِ. بَدَأَ أَنْ هَذَا أَفَاقَ الْجُنُودَ فَتَوَقَّفُوا عَنِ التَّجْمُهْرِ كَقَطِيعِ الْأَعْنَامِ. بَدَأَ أَنَّهُمْ تَدَكَّرُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَبَدَّءُوا يُطْلِقُونَ النَّارَ فَجَاءَتْ. وَبِتَشْجِيعِ مِنَ الضُّبَابِ، بَدَأَ الْجُنُودُ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْأَمَامِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، يَتَوَقَّفُونَ كُلَّ بَضْعِ خُطَوَاتٍ لِيُطْلِقُوا النَّارَ وَيُعِيدُوا تَعْبَةَ أَسْلِحَتِهِمْ.

كَانَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ بِضَرَاوَةٍ لِيَمْنَعَ الْكُتَيْبَةَ مِنَ التَّقَدُّمِ، وَبَدَأَ أَنَّ الْكُتَيْبَةَ لَا تَسْتَطِيعُ التَّقَدُّمَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا. انْحَنَى الرَّجَالُ خَلْفَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ وَانْتَظَرُوا كَأَنَّ شَيْئًا يُهْدِدُهُمْ. نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي دُعْرِ مَذْهُولِينَ مِمَّا فَعَلُوا. كَانَ الْمَوْقِفُ بِرُمَّتِهِ مُرْبِكًا لِلْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ.

وَمَا إِنْ تَوَقَّفُوا حَتَّى بَدَأَ الْمَلَاذِمُ يَصْرُخُ فِيهِمْ مَرَّةً أُخْرَى. أَمْسَكَ بِذِرَاعِ هِنْرِي، وَصَاحَ: «هَيَّا أَيُّهَا الْأَحْمَقُ! سَوْفَ يُطْلِقُونَ النَّارَ عَلَيْنَا لَوْ بَقِينَا هُنَا. لَيْسَ أَمَامَنَا سِوَى عُبُورِ هَذَا الْحَقْلِ هُنَاكَ.»

أَشَارَ هِنْرِي قَائِلًا: «عُبُورُ هَذَا؟»

صَاحَ الضُّبَابُ: «نَعَمْ، اعْبُرُوا هَذَا الْحَقْلَ! لَا يُمْكِنُنَا الْبَقَاءُ هُنَا. هَيَّا!»

جَرَى الْإِثْنَانُ مَعًا وَخَلْفَهُمَا وَيَلْسُونَ. وَصَرَخَ الرَّجَالُ الثَّلَاثَةُ فِي الْجُنُودِ: «هَيَّا! هَيَّا!» تَرَدَّدَ أَفْرَادَ الْكُتَيْبَةِ هُنَيْهَةً، وَمَعَ إِحْدَى الصَّرَخَاتِ الطَّوِيلَةِ رَكَضُوا إِلَى الْأَمَامِ وَبَدَّءُوا رِحْلَتَهُمُ الْجَدِيدَةَ، بَيْنَمَا تَحَرَّكَ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِمَّنْ تَبَقِيَ مِنَ الْكُتَيْبَةِ قَرِيبًا مِنَ الْعَدُوِّ. زَادَتْ سُرْعَةُ إِطْلَاقِ النَّيْرَانِ، وَانْتَشَرَتْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ سَحَابَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الدُّخَانِ الْأَزْرَقِ.

أَسْرَعَ هِنْرِي نَحْوَ الْغَابَةِ قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ إِحْدَى الطَّلَقَاتِ وَهُوَ يَخْفِضُ رَأْسَهُ وَيَكَادُ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ. كَانَ الْمَشْهُدُ حَوْلَهُ غَيْرَ وَاضِحٍ.

شَعَرَ هِنْرِي وَهُوَ يَجْرِي بِشَغَفٍ وَوَلَعَ حَزِينٍ بِالرَّايَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ. لَقَدْ فَكَّرَ فِي تَلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّهَا جَمِيلَةٌ وَقَوِيَّةٌ. قَطَعَا لَنْ يُصِيبَهَا أَيُّ أَدَى. وَظَلَّ هِنْرِي عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الرَّايَةِ وَكَأَنَّهَا قَادِرَةٌ عَلَى حِمَايَتِهِ.

وَوَسَطَ التَّدَاوُعِ الْمَحْمُومِ، رَأَى هِنْرِي الْجُنْدِيَّ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّايَةَ يَتَرَاوَعُ فَجَاءَتْ وَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ.

عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْحَقْلِ

قَفَزَ هِنْرِي وَأَمْسَكَ بِالسَّارِيَةِ. وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ أَمْسَكَ وَيَلْسُونُ بِالرَّايَةِ مِنَ الْجَانِبِ
الْآخَرَ.

الفصل الثالث والعشرون

الرَّايَةُ

عِنْدَمَا التَّفَتَ هنري وويلسون وهما يُمسِكَانِ الرَّايَةَ معًا، وَجَدَا أَنَّ مُعْظَمَ أَفْرَادِ الْكَتِيْبَةِ قَدْ لَفُّوا حَتْفَهُمْ. لَيْسَ هَذَا فَحْسَبٌ، بَلْ كَانَ النَّاجُونَ يَبْدُءُونَ فِي الْإِنْسِحَابِ أَيْضًا. كَانَ الْعَبِيدُ مِنَ الضَّابِطِ يُعْطُونَ الْأَوَامِرَ، وَيَصِيحُونَ وَسَطَ ضَجِيجِ الْمَعْرَكَةِ.

صَاحَ الْمَلَاذِمُ: «مَاذَا تَفْعَلَانِ؟»

كَانَ هنري وويلسون يَنْشَاجِرَانِ عَلَى الرَّايَةِ، وَكِلَاهُمَا يُرِيدُ حَمْلَهَا. وَأَخِيرًا دَفَعَ هنري وويلسون بَعِيدًا.

عَادَتِ الْكَتِيْبَةُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْأَشْجَارِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْمَكَانِ الْمَفْتُوحِ الَّذِي بَدَّءُوا مِنْهُ بَدَأَ أَنَّ مَجْمُوعَاتٍ مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ تُحِيْطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَمَلَّكَ الذُّهُولُ وَالْيَأْسُ الْكَثِيرِينَ.

وَاصَلَ هنري التَّقَدُّمَ تَعْلُوَ وَجْهَهُ نَظْرَةً غَاضِبَةً. كَانَ غَاضِبًا لِأَنَّ الضَّابِطَ قَالَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَاكِبُو بَغَالٍ، وَكَانَ أَكْثَرَ غَضَبًا لِأَنَّهُمْ اضْطَرُّوا لِلإِنْسِحَابِ. شَعَرَ بِالْكَرَاهِيَةِ تَجَاهَ الضَّابِطِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ — حَتَّى — يَعْرِفُهُ، لَكِنَّهُ نَعَتَهُ بِذَلِكَ. أَرَادَ هنري أَنْ تَنْتَصِرَ كَتِيْبَتُهُ فِي تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ لِيَعُودَ إِلَى ذَلِكَ الضَّابِطِ وَيَقُولَ لَهُ: «نَحْنُ رَاكِبُو بَغَالٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟» لَكِنَّهُ الْآنَ يَدْرِكُ أَنَّ النَّصْرَ لَنْ يَكُونَ حَلِيفَهُمْ، وَأَنَّ عَلَيْهِ التَّخَلِّيَ عَنِ أَحْلَامِهِ بِالتَّأْرِ مِنَ الضَّابِطِ.

انْتَبَهَ هنري إِلَى كِبْرِيَائِهِ وَظَلَّ يَرْفَعُ الرَّايَةَ عَالِيًا. صَرَخَ هُوَ وَالْمَلَاذِمُ فِي الْجُنُودِ لِيُوَاصِلُوا الْقِتَالَ، لَكِنَّ الْجُنُودَ كَانُوا أَشْبَهَ بِأَلَاتٍ مُعْطَلَّةٍ. عَجَزَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَنِ مُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا زُمَلَاءَهُمْ يَسْقُطُونَ قَتْلَى وَجَرَحَى.

انْتَشَرَ الدُّخَانُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَعَ حُدُوثِ انْقِسَامِ مُفَاجِئٍ فِي إِحْدَى السُّحُبِ، رَأَى هنري مَجْمُوعَةً مِنْ جُنُودِ العُدُوِّ. كَانُوا يَصِيحُونَ وَيُقَاتِلُونَ بَيْنَمَا كَتَيْبَةُ هنري تَتَقَهَّرُ. بَدَتِ المَعْرَكَةُ وَكَانَتْهَا سَتَسْتَمِرُّ إِلَى الأَبَدِ. فَقَدَ الكَثِيرُ مِنَ الجُنُودِ صَوَابَهُمْ مِنْ هَوْلِ المَوْفِقِ، وَأَصْبَحُوا لَا يُمَيِّزُونَ مَكَانَ العُدُوِّ أَوْ مَصَدَرَ الطَّلَقَاتِ. كَانُوا يَفْرُونَ فِي جَمِيعِ الإِتِّجَاهَاتِ بَحْثًا عَنْ مَكَانٍ لِلهَرَبِ، وَأثناءَ هَذَا كُلِّهِ يَتَسَاقَطُ القَتْلَى مِنْ حَوْلِهِمْ.

سَارَ هنري بِخَطَى وَاثِقَةٍ وَسَطَ الجُنُودِ، وَرَفَعَ الرَّايَةَ عَالِيًا. بَدَأَ وَكَأَنَّهُ تَوَقَّعَ أَنْ يَدْفَعَهُ أَحَدُ أَرْضًا، فَكَانَ يَسْتَخْدِمُ الرَّايَةَ لِتُسَاعِدَهُ عَلَى الصُّمُودِ. وَمِنْ دُونِ أَنْ يَنْتَبِهَ، كَانَ وَإِقْفَا كَالأَبْطَالِ الَّذِينَ رَأَهُمْ وَتَخَيَّلَهُمْ.

اقْتَرَبَ مِنْهُ وَيَلْسُونُ وَقَالَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهَا النِّهَايَةُ يَا هنري.»

رَدَّ هنري دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى صَدِيقِهِ: «اصْمُتْ أَيُّهَا الأَحْمَقُ!»

حَاوَلَ الصُّبَّاطُ تَوَزِيعَ الجُنُودِ فِي دَائِرَةٍ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا مُوَاجَهَةَ العُدُوِّ الَّذِي يَقْتَرِبُ. كَانَتِ الأَرْضُ غَيْرَ مُسْتَوِيَةٍ وَمَشَقَّةً. وَتَسَلَّلَ الجُنُودُ دَاخِلَ الخَنَادِقِ مُحَاوِلِينَ الإِخْتِبَاءَ خَلْفَ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يَصُدُّ عَنْهُمْ الطَّلَقَاتِ.

رَأَى هنري أَنَّ المُلَازِمَ كَانَ وَإِقْفَا الآنَ فِي سُكُونٍ مُتَكِنًا عَلَى سَيْفِهِ. وَسَادَ شُعُورُ غَرِيبٍ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ القَصِيرَةِ. بَدَأَ المُلَازِمُ كَالطِّفْلِ الَّذِي اسْتَنْزَفَ دُمُوعَهُ وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ مَاذَا يَفْعَلُ. كَانَ يُفَكِّرُ وَيَعْمَعِمُ لِنَفْسِهِ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ.

تَصَاعَدَتِ بَعْضُ الأَدخِنَةِ حَوْلَ الكَتَيْبَةِ، بَيْنَمَا انْتظَرَ الجُنُودُ المُخْتَبِئُونَ مِنَ الطَّلَقَاتِ ارْتِفَاعَ الدُّخَانِ لِيَرَوْا لِإِخْرِ مَرَّةً مَاذَا سَيَحْدُثُ لَهُمْ.

الفصل الرابع والعشرون

انتصار موقت

فَجَاءَ قَطَعَ صَمَتَ الْجُنُودِ صَوْتُ الْمَلَاذِمِ الْمُنْفَعِلِ عِنْدَمَا قَالَ: «هَا هُمْ قَادِمُونَ!» وَتَاهَتْ
كَلِمَاتُهُ الْأُخْرَى وَسَطَ ضَجِيجِ الطَّلَقَاتِ.

نظَرَ هنري إلى المكان الذي أشار إليه الملازم، ورأى جنود العدو يقتربون. كانوا
قريبين جداً، حتى إنه رأى وجوههم وزيهم الرمادي الذي بدأ جديداً.
كانت قوات العدو تتقدم بحذر وبنادقهم مستعدة لإطلاق النيران. وعندما صاح
الملازم، وبدأت كتيبة هنري في إطلاق النيران، بدأ وكان جنود العدو بوغتنا وأخذوا على
حين غفلة.

تبادل الجيشان ضربات، واستمر القصف الغاضب والسريع من الجانبين. كان
الجنود في كتيبة هنري - بزيتهم الأزرق - متلهفين للثأر. توارى هنري بعض الوقت.
لم يكن يستطيع رؤية العدو بوضوح، لكن بدا أن هناك الكثيرين منهم، وأنهم يتقدمون
إلى الأمام شيئاً فشيئاً. جلس على الأرض حزينا والراية بين ركبتيه.
وعندما لاحظ هنري الغضب الشديد الذي يجتاح أصدقاءه، أدرك أنه إذا انتصر
العدو حقاً، فسيكون ذلك نصراً عسيراً ومؤلماً.

لكن بدأت ضربات العدو تضعف، وتضاءل عدد الطلقات القادمة من جهتهم.
وأخيراً عندما توقف الرجال قليلاً لإلقاء نظرة، لم يروا سوى الدخان الداكن يملأ المكان.
وقف الجنود، وحدقوا في الخلاء حولهم، فرأوا الأرض خالية من جنود العدو عدا جثث
القتلى.

عِنْدَ رُؤْيَةِ هَذَا الْمَشْهَدِ، انْطَلَقَ الْكَثِيرُ مِنَ الْجُنُودِ مِنْ مَخَابِئِهِمْ، وَرَقَصُوا رُقْصَةً فَرِحَ غَرِيبِيَّةً. اتَّقَدَّتْ عُيُونُهُمْ، وَانْطَلَقَ هُتَافٌ أَجْسُ مِنْ بَيْنِ شِفَاهِهِمْ الْجَافَةِ.
كَانُوا قَدْ أَوْشَكُوا أَنَّ يُصَدِّقُوا أَنَّهُمْ بِلَا جُدْوَى، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَصْمُدُّوا أَمَامَ الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُمْ
عِنْدَمَا كَانُوا عَلَى وَشِكِ خَسَارَةِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الصَّغِيرَةِ، أَدْرَكُوا أَنَّ حَجْمَ الْجَيْشِ لَيْسَ
مُهِمًّا. لَقَدْ تَأَرَّوْا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَدُوِّ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِ.
نَظَرَ الْجُنُودُ حَوْلَهُمْ فِي تَفَاخُرٍ، وَشَعَرُوا بِالنُّقَّةِ فِي أَسْلِحَتِهِمُ الْبَسِيطَةِ. لَقَدْ كَانُوا
رِجَالًا بِحَقٍّ.

رَأْيُ الْجُنَرَالِ

كَانَتْ الْأَرْضُ الْخَلَاءَ تُحْبِطُ بِالْجُنُودِ، وَمِنْ بَعِيدٍ تَعَالَتْ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَصْوَاتِ، لَكِنْ عَمَّ
الْهُدُوءُ ذَلِكَ الْجُزءَ مِنَ الْحَقْلِ. شَعُرُوا بِالْحُرِّيَّةِ، وَتَنَهَّدُوا تَنْهِيدَةَ ارْتِيَاحٍ، وَتَجَمَّعُوا لِلْعُودَةِ
إِلَى صُفُوفِهِمْ حَيْثُ يُخَيِّمُ بَقِيَّةُ الْجَيْشِ.

فِي هَذَا الْجُزءِ الْأَخِيرِ مِنْ رِحْلَتِهِمْ، بَدَأَتْ تَبْدُو عَلَى الرَّجَالِ انْفِعَالَاتٌ غَرِيبَةٌ؛ كَانُوا
يَسِيرُونَ فِي عَجَلَةٍ وَقَلْقٍ، وَبَعْضُ الْجُنُودِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا شُعُورًا مُحَدَّدًا فِي خِصْمِ الْقِتَالِ
لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْآنَ إِخْفَاءَ شُعُورِهِمْ بِالْقَلْقِ. رُبَّمَا كَانُوا يَخْشَوْنَ إِطْلَاقَ النَّيرانِ عَلَيْهِمْ الْآنَ
بَعْدَ أَنْ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ الرَّئِيسِيَّةُ وَأَصْبَحُوا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنَ الْأَمَانِ.

حِينَ اقْتَرَبَ هِنري وَأَصْدِقَاؤُهُ مِنْ صُفُوفِ الْجَيْشِ، سَخِرَ مِنْهُمْ بَعْضُ الْجُنُودِ فِي
كُتَيْبَةٍ أُخْرَى أَنْتَاءَ مُرُورِهِمْ بِهِمْ.

صَاحَ أَحَدُهُمْ: «أَيْنَ كُنْتُمْ؟»

وَقَالَ آخَرُ: «لِمَاذَا لَمْ تَمَكَّنُوا هُنَاكَ؟»

وَقَالَ ثَالِثُ: «نَعُودُونَ لِلْبَيْتِ الْآنَ أَيُّهَا الصَّغَارُ؟»

لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ بِاسْتِثْنَاءِ جُنْدِيٍّ وَاحِدٍ تَحَدَّاهُمْ لِلشَّجَارِ بِالْأَيْدِي، لَكِنَّ الْمَلَاذِمَ حَالِ
دُونَ ذَلِكَ. غَضِبَ هِنري مِنْ تِلْكَ التَّعْلِيقَاتِ، وَرَأَى أَنَّ كَثِيرِينَ فِي كُتَيْبَتِهِ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي
تَنَاقُلٍ مُفَاجِئٍ وَكَأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِالذَّنْبِ.

حِينَ وَصَلَ الْجُنُودَ إِلَى مَوْعِهِمُ الْقَدِيمِ، اسْتَدَارُوا وَالْقَوَا نَظَرَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي دَارَ
فِيهَا الْقِتَالُ. شَعَرَ هِنري بِاللَّهْشَةِ؛ فَالْمَسَاحَةُ كَانَتْ صَغِيرَةً لِلْغَايَةِ. تَعَجَّبَ هِنري مِنْ

وَقُوعَ كُلِّ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ عَلَى مِسَاحَةٍ صَغِيرَةٍ كَهَذِهِ، وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِالْفَخْرِ عَنِ أَدَائِهِ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْأَخِيرَةِ.

أثناء استراحة الجنود، جاء الضابط الذي كان قد أطلق عليهم راكبي البغال على جواده. كان قد فقد قبعته، وتفرق شعره في غير نظام. كان وجهه منجهمًا من شدة الغضب، وبدأ على الفور يصيح في الجنود.

صرخ فيهم: «ما هذا الذي فعلتموه؟ توقفتُم وأنتم على بُعد مائة قدم من تحقيق انتصار ساجق. لو كنتم قد تقدمتم مائة قدم فقط، لكان هجومكم ساجقًا.»

التفت الجنود إلى قائدهم الذي كان على وشك الرد. بدا وكأن الضابط أهانه، لكن تغير أسلوبه على الفور، وهز كتفيه.

قال بنبرة هادئة: «لقد فعلنا ما في وسعنا يا جنرال.»

صاح الضابط: «ما في وسعكم؟ لم يكن هذا كافيًا، أليس كذلك؟ كان يفترض بكم أن تلتفتوا انتباه العدو، لكنكم أخفقتُم تمامًا.»

ثم استدار بجواده، وانطلق بعيدًا. عمم قائد الكتيبة بكلمات غاضبة. ورفع الملامح — الذي كان يستمع لحديث الجنرال في غضب شديد — صوته، وقال: «أيًا كانت صفة الرجل ... سواء أكان جنرالًا أو غير ذلك؛ لو قال إن هؤلاء الفتيان لم يبلوا بلاء حسنًا، فهو أحمق.»

الجنرالات

انتشرت الأنباء بين الجنود بأن أفراد الكتيبة نعتوا بالفشل. أكدت كل الكتائب الأخرى أن الجنرال قد ارتكب خطأ فادحاً. لاحظ هنري أن أصدقاءه بدوا كالحَيوانات المنهزمة. نظراً ولسون إليه، وقال: «أتساءل ماذا يريد منا. لا بد أنه يظن أننا ذهبنا هناك نلعب!» ومع أن هنري كان غاضباً، فإنه قرّر أن يحافظ على هدوئه.

قال: «على الأرجح لم ير الجنرال شيئاً من المعركة. الأرجح أنه شعر بالغضب، وقرّر أننا كنا قطيعاً من الغنم لأننا لم نفعل ما أرادته تحديداً. إنه سوء حظ لا أكثر!» ردّ صديقه وقد بدا أنه يشعر بإهانة بالغة: «عليّ الإقرار بذلك؛ لا جدوى من أن تحارب من أجل الآخرين عندما يكون كل ما تفعله خاطئاً. أكاد أتمنى ألا أشارك في القتال المرة القادمة. دعهم يتحمّلوا المسؤولية ويقابلوا العدو وحدهم.» عندها جاء عدد كبير من الجنود مسرعين.

صاح أحدهم: «عليك أن تسمع هذا يا فليمنج!»

سأل هنري: «أسمع ماذا؟»

ردّ الجندي: «التقى قائد الكتيبة بملازمك في مكان قريب منا، وقال: «من ذلك الجندي الذي كان يحمل الراية؟» فأجابه الملازم: «إنه هنري فليمنج. إنه فتى قوي»، هكذا قال بالحرف. ثم قال القائد: «إنه حقاً كذلك. إنه محارب جيد. لقد ظلّ رافعاً الراية عاليًا عند الجبهة. لقد رأيته بنفسي. إنه جندي شجاع.» ثم قال الملازم: «معك حق. هو وصديقه ولسون كانا في المقدمة طيلة الوقت.» ثم قال القائد: «كلاهما يستحق أن يكون جنرالاً في الجيش.»»

شارة الشجاعة الحمراء

تَوَرَّدَ وَجْهًا هَنْرِي وَوَيْلِسُونِ حَجًّا لِسَمَاعِ تَلْكَ الْأَخْبَارِ، وَسُرْعَانَ مَا نَسِيَ الْكَثِيرَ
مِنَ الْأُمُورِ. لَمْ يَعُودَا يَشْعُرَانِ بِالْإِحْبَابِ، بَلْ كَانَا سَعِيدَيْنِ لِلْغَايَةِ. اِمْتَلَأَ قَلْبَاهُمَا بِمَشَاعِرِ
الْإِمْتِنَانِ وَالْعِرْفَانِ لِلْقَائِدِ وَالْمُلَازِمِ.

الهجوم الثاني

حين بدأت قوات العدو هجومها الثاني من وسط الغابة، كان هنري أكثر ثقة بنفسه. كان يقف شامخاً رابط الجأش بينما ينواري الآخرون. راقب هنري الهجوم الذي بدأ بمواجهة فريق من جيشه كان على جانب تل قريب. وفي مكان آخر في الحقل كان هناك قتال عنيف وسريع بين كتيبتين بدتا وكانهما تتجاهلان المعارك الأخرى التي تدور حولهما.

وفي اتجاه آخر رأى هنري مجموعة هائلة من الجنود تقتحم الغابة بخيولها. غابت هذه المجموعة عن الأنظار، وسرعان ما تعالت أصوات القتال والقصف. راقب هنري المعارك الصغيرة التي استمرت بعض الوقت. تقاللت الجيشان قتالاً ضارياً، ورأى هنري الرايتين ترفرفان وسط الدخان.

بعد قليل عم الهدوء المكان مرة أخرى. هدوء جعل المكان أشبه بالكنيسة. وفجأة انطلقت الطلقات النارية من ناحية منحدر قريب، وبدأ صوت إطلاق النيران داخل الغابة. زادت سرعة إطلاق النيران للغاية حتى أصبح صوتها لا يتصور. ولم يستطع هنري سماع شيء آخر.

كان الجنود يندفعون هنا وهناك في كل مكان ينظرون فيه. في بعض الأحيان كان رجال أحد الجيشين يصرخون ويهللون، لكن بعد لحظة يهلل جنود الجيش الآخر بالمثل تماماً. كانت الصرخات والهتافات تملأ الأرجاء.

تقدمت كتيبة هنري الصغيرة بنفس الحماس الذي كانوا عليه عندما حان وقتهم. أطلق الرجال صرخة غضب وألم عندما أطلق العدو النار عليهم. كان أمامهم حاجز من

الدُّخَانِ لَمْ يَرَوْا مِنْ خِلَالِهِ إِلَّا وَمَضَاتِ الْأَعْيَرَةِ النَّارِيَّةِ الْحَمْرَاءِ وَالصَّفْرَاءِ. وَسُرْعَانَ مَا
اِكْتَسَوْا بِالْأَوْسَاحِ وَالسُّخَامِ.

اسْتَمَرَ الْمَلَاذِمُ يَصْرُخُ فِي الْجُنُودِ لِيُوَاصِلُوا الْقِتَالَ، بَيْنَمَا ظَلَّ هنري يَحْمِلُ الرَّايَةَ.
حَاوَلَ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ. كَانَ أحيانًا يَنْتَفِضُ، وَأحيانًا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، بَلْ إِنَّهُ فِي
بَعْضِ الْأَحْيَانِ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى إِنْ كَانَ يَتَنَفَّسُ أَمْ لَا. كَانَ مُنْشَغِلًا لِلْغَايَةِ بِمُرَاقَبَةِ
الْمَعْرَكَةِ.

اقتربَ صَفٌّ كَبِيرٌ مِنْ صُفُوفِ الْعَدُوِّ مِنْ كَتِيبَةِ هنري؛ فَكَانَ يَسْهُلُ رُؤْيَتُهُمْ. كَانُوا
طَوَالَ الْقَامَةِ نَحِيفِي الْأَجْسَامِ مُنْفَعِلِي الْوُجُوهِ يَتَحَرَّكُونَ بِخُطَى وَاسِعَةٍ. وَأَمَامَ هَذَا
الْمَشْهَدِ، تَوَقَّفتْ كَتِيبَةُ هنري لِحُظَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ وَإِطْلَاقِ النَّيرانِ ثَانِيَةً قَبْلَ حَتَّى صُدُورِ
الْأوامِرِ بِذَلِكَ. بَدَأُوا إِطْلَاقَ النَّيرانِ مَا إِنْ انْتَبَهُوا إِلَى الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِهِمْ.

لَكِنْ أَسْرَعَتْ قُوَاتِ الْعَدُوِّ بِالِاخْتِباءِ خَلْفَ أَحَدِ الْأَسِيحَةِ، ثُمَّ بَدَأُوا إِطْلَاقَ النَّارِ مِنْ
جَدِيدٍ عَلَى كَتِيبَةِ هنري الَّتِي هَيَّأتْ نَفْسَهَا لِمُواجهَةِ ضَارِيَةٍ. لَمَعَتْ أَسْنَانُ بِيضَاءٍ مِنْ
بَيْنِ الْوُجُوهِ الْمُتَسَخِّةِ. وَكثيرًا مَا صَاحَ جُنُودُ الْعَدُوِّ وَحَاوَلُوا إِهَانَةَ الْكَتِيبَةِ، لَكِنَّهَا ظَلَّتْ
صَامِتَةً. رُبَّمَا كَانُوا يَتَذَكَّرُونَ إِهَانَةَ الَّتِي وَجَّهَهَا الْجِنْرَالُ لَهُمْ وَالَّتِي جَعَلَتْهُمْ أَشَدَّ بَأْسًا.

عَزَمَ هنري عَلَى الْأَلَّا يَتْرَكَ هَذَا الْمَكَانَ مَهْمَا حَدَثَ. كَانَ يُرِيدُ النَّارَ مِنَ الضَّابِطِ الَّذِي
نَعَنَهُمْ بِرَاكِبِي الْبِغَالِ وَبِالْفَاشِلِينَ. وَأَفْضَلَ انْتِقَامَ فِي رَأْيِهِ أَنْ يَبْقَى فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَى أَنْ
يَهْزِمَ الْعَدُوُّ. سَوْفَ يُثْبِتُ لِلْجَمِيعِ كَمْ هُوَ شَجَاعٌ.

أُصِيبَ أَفْرَادُ الْكَتِيبَةِ إِصَابَاتٍ بِالْعَظْمَةِ، وَسَقَطَ الْكثيرُونَ مِنْهُمْ. زَحَفَ بَعْضُ الْجُرْحَى
بَعِيدًا عَنِ مِيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، لَكِنْ بَقِيَ الْكثيرُونَ بِلا حَرَاكٍ.

بَحَثَ هنري عَنِ وِيلسون، وَوَجَدَهُ لَا يَزَالُ يَحَارِبُ. وَلَمْ يُصَبِ الْمَلَاذِمُ هُوَ الْآخَرُ
بِسُوءٍ. كَانَ يَصِيحُ فِي الْجُنُودِ، لَكِنْ الْوَضْعَ سَارَ مُخْتَلِفًا الْآنَ. كَانَ مُعَدَّلُ الطَّلَقَاتِ يَتَضَاعَلُ
شَيْئًا فَشَيْئًا، وَكَانَ صَوْتُ الْمَلَاذِمِ يَزْدَادُ وَهْنًا.

الجانب الآخر من السور

أتى قائد الكتيبة مسرعاً من الخلف يتبعه مجموعة من الضباط.

صاحوا: «لا بد أن نهجم عليهم! لا بد أن نهجم عليهم!»

عندما سمع هنري ذلك، بدأ يدرس المسافة بينه وبين العدو. أدرك أن على كتيبته التحرك إلى الأمام إذا أرادوا تحقيق النصر. سوف يلقون حتفهم إذا بقوا في أماكنهم. أملهم الوحيد أن يدفعوا العدو بعيداً عن السياج الذي يحتبى وراءه.

ظن أن رفاقه سيكونون منهكين للغاية لا يقوون على شن الهجوم، وأنه لا بد من تشجيعهم، لكن عندما التفت لينظر إليهم، أدهشه أنه قد ارتسمت على وجوههم جميعاً تعبيرات أكيدة وسريعة بالموافقة. وعندما صدر الأمر، تقدم الجنود إلى الأمام بخطى متحمسة. كانت هناك قوة جديدة وغير متوقعة في حركتهم. كانوا يعلمون أنهم مرهقون، وأن طاقة هذا الهجوم تشبه القوة التي تظهر قبل النهاية مباشرة. ركض الجنود بحماس جنوني. كان اندفاعاً أعمى فوق حقل أخضر، وتحت السماء الزرقاء في اتجاه السياج الذي يظهر بصعوبة وسط الدخان. وخلف السياج، كان جنود العدو يصبون نحوهم مباشرة.

ظل هنري رافعاً الراية في المقدمة يلوّح بيده الخالية ويصيح. كان يحاول إثارة حماس أصدقائه، لكن بدا أنهم لم يكونوا في حاجة لذلك. كان الرجال يتفجرون حماساً. شعر هنري هو الآخر بالجزأة، وكان على استعداد لتقديم التضحيات مهما كلفتها. لم يكن لديه وقت للتفكير، لكنه أدرك أن طلقات العدو هي الحاجز الوحيد بينه وبين بلوغ غايته.

الفصل التاسع والعشرون

انتزاع الراية

اندفع هنري إلى الأمام بكل ما لديه من قوة. لم يستطع رؤية أي شيء سوى الدخان، لكنه كان يعلم بوجود سياج قديم هناك. لا بد أنه كان ملكاً لأحد المزارعين في السابق، لكنه الآن أصبح في يد العدو.

أثناء جري هنري، لمعت في ذهنه فكرة اللقاء الأخير بين جيشه وجيش العدو، وتوقع أن تكون مواجهة شرسة، وهو ما جعله يسرع في العدو عن أصدقائه الذين كانوا يهتفون في قوة وحماس.

لكن سرعان ما رأى هنري أن عدداً كبيراً من جنود العدو لن يصمدوا للقتال. ومع انقشاع الدخان، رأى هنري جنود العدو يلوذون بالفرار. كان بعضهم يلتفتون ليطلقوا النار على كتيبة هنري قبل أن يواصلوا فرارهم.

لكن في بقعة محدّدة بين صفوف العدو، كانت هناك مجموعة متجهمة وحازمة لم تتحرك من مكانها. كانوا ثابتين في أماكنهم خلف السياج تُرفرف فوقهم راية مُموجة جامحة.

اقتربت كتيبة هنري أكثر فأكثر حتى التقى الفريقان، وأصبحت صرخاتهما إهانات متبادلة. كادت المسافة بينهما تختفي تماماً.

ركز هنري نظره على راية العدو التي كان يريدها أكثر من أي شيء آخر. انقضّ عليها كالحصان الجامح، وكانت رايته تتأرجح كلما اقترب منها.

فَجَاءَ تَوَقَّفَتْ كَتِيبَهُ هِنْرِي عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ، وَأَطْلُقُوا وَابِلًا مِنَ الرَّصَاصِ تَفَرَّقَ عَلَى
إِثْرِهِ جُنُودُ الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُمْ وَاصَلُوا الْقِتَالَ. أَطْلَقَتِ الْكَتِيبَةُ صَيْحَةً أُخْرَى ثُمَّ انْدَفَعُوا نَحْوَ
الْعَدُوِّ.

رَأَى هِنْرِي بَعْضَ جُنُودِ الْعَدُوِّ يُقَاتِلُونَ حَتَّى النِّهَايَةِ وَأَحَدُهُمْ يَحْمِلُ الرَّايَةَ. كَانَ
قِتَالًا مَهُولًا. اِكْتَسَى وَجْهُ حَامِلِ الرَّايَةِ بِالْغَضَبِ وَتَشَبَّثَ بِهَا حَتَّى وَهُوَ يَتَعَنَّرُ وَيَسْقُطُ
أَرْضًا. جَرَّاحُهُ جَعَلَتْ الْأَمْرَ يَبْدُو وَكَأَنَّ كَانِتَاتٍ غَيْرَ مَرْتَبَةٍ تَتَشَبَّثُ بِقَدَمَيْهِ وَتُعَيِّقُ تَحْرُكَهُ.
بَدَأَ قِلْقًا لِلْغَايَةِ عِنْدَمَا قَفَزَتْ كَتِيبَهُ هِنْرِي فَوْقَ السِّيَاحِ.

عَبَرَ وَيَلْسُونِ السِّيَاحِ، وَأَنْقَضَ عَلَى الرَّايَةِ كَنِمْرٌ يَنْقُضُ عَلَى فَرِسَتِهِ. انْتَرَعَ وَيَلْسُونِ
الرَّايَةَ وَلَوَّحَ بِهَا وَهُوَ يُطْلِقُ صَيْحَةً انْفِعَالٍ بَيْنَمَا سَقَطَ حَامِلُ رَايَةِ الْعَدُوِّ أَرْضًا.
أَطْلَقَتِ كَتِيبَهُ هِنْرِي عَاصِفَةً مِنَ الْهُتَافِ.

انْتَهَتْ مَعْرَكَةُ التَّلِّ الصَّغِيرِ! أَسْرَ أَرْبَعَةٌ مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ، وَاسْتُجُوبُوا. أَحَدُهُمْ كَانَ
مُصَابًا فِي قَدَمِهِ، وَأَخَذَ يَكِيلُ الصَّرَخَاتِ وَاللَّعْنَاتِ لِهِنْرِي وَأَصْدِقَائِهِ. الثَّانِي كَانَ صَغِيرًا
وَتَكَلَّمَ بِهَدْوٍ مَعَ أَصْدِقَاءِ هِنْرِي عَنْ أَحْدَاثِ الْمَعْرَكَةِ، بَيْنَمَا جَلَسَ الثَّلَاثُ حَزِينًا لَا يَفْعَلُ
شَيْئًا سِوَى تَوْجِيهِ عِبَارَاتٍ غَاضِبَةٍ لِلرِّجَالِ. أَمَّا السَّجِينُ الرَّابِعُ فَكَانَ صَامِتًا طِيلَةَ الْوَقْتِ،
وَكَانَ يُشِيخُ بِنَظَرِهِ عَنِ الْآخَرِينَ. بَدَأَ أَنَّهُ يَشْعُرُ بِالْحَزَنِ الشَّدِيدِ.

بَعْدَ أَنْ احْتَقَلَ الْجُنُودُ طَوِيلًا، جَلَسُوا خَلْفَ السِّيَاحِ فِي الْجَانِبِ الْمُقَابِلِ لِلْجَانِبِ الَّذِي
كَانَ يَتَّخِذُهُ جُنُودُ الْعَدُوِّ مِنْ قَبْلُ.

كَانَتْ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي اسْتَرَحَى فَوْقَهَا هِنْرِي، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ
وَيَلْسُونِ مُفَعَّمًا بِالْبَهْجَةِ وَالْفَخْرِ وَفِي يَدِهِ رَايَةَ الْعَدُوِّ. اسْتَلْقَى وَيَلْسُونِ بِجَوَارِهِ، وَهَنَّا
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

الفصل الثلاثون

بَدَايَةُ جَدِيدَةٍ

بَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ الصَّاحِبَةَ مِنْ حَوْلِهِمْ فِي الْإِنْخِفَاضِ، وَأَصْبَحَتْ لَا تَسْمَعُ إِلَّا عَلَى فَتَرَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ. وَنَظَرَ هِنْرِي وَوَيْلسون حَوْلَهُمَا فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ أَثَارَ هَذَا الْهُدُوءُ قَلَقَهُمَا، فَلَاخِظًا بَعْضُ التَّغْيِيرَاتِ بَيْنَ الْكُتَائِبِ الَّتِي كَانَتْ تَسِيرُ هُنَا وَهُنَا.

وَقَفَ هِنْرِي، وَقَالَ: «أَتَسَاءَلُ: مَاذَا يَجْرِي هُنَا؟» بَدَأَ أَنَّهُ سَيَسْمَعُ ضَجِيجًا جَدِيدًا. وَضَعَ هِنْرِي يَدَهُ الْمُتَسَخَّضَةَ عَلَى عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إِلَى الْحَقْلِ. وَقَفَ وَوَيْلسون هُوَ الْآخَرُ وَحَدَّقَ النَّظَرَ.

قَالَ: «أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّنَا سَنُعَادِرُ هَذَا الْمَكَانَ، وَنَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى النَّهْرِ.»

انْتَبَهَ رَاقِبًا، وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَلَقَّتِ الْكُتَيْبَةُ الْأَوَامِرَ بِالْعُودَةِ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا. نَهَضَ الرَّجَالُ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ وَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ. سَبَّ أَحَدُ الْجُنُودِ وَهُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ، وَتَدَمَّرَ الْجَمِيعُ. كَانَ اعْتِرَاضُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْأَوَامِرِ كَاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي مَعْرَكَةٍ جَدِيدَةٍ؛ إِذْ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِالرَّاحَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

سَارَ الرَّجَالُ رُويِدًا رُويِدًا عَبْرَ الْحَقْلِ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَعُدُونَ فِيهِ بِجُنُونٍ قَبْلَ قَلِيلٍ.

اسْتَمَرَّتِ الْكُتَيْبَةُ فِي السَّيْرِ حَتَّى انْضَمَّتْ إِلَى بَقِيَّةِ الْجَيْشِ، وَأُعِيدَ تَشْكِيلُ الْكُتَائِبِ فِي صُفُوفٍ، وَوَأَصَلُوا مَسِيرَتَهُمْ فِي الْغَابَةِ. شَاهَدُوا فِي طَرِيقِهِمْ بَيْتًا أَبْيَضَ أَمَامَهُ مَجْمُوعَاتٌ مِنْهُمْ يُطْلِقُونَ النَّارَ عَلَى عَدُوٍّ بَعِيدٍ.

عِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ انْعَطَفَ الْجُنُودُ مِنْ طَرِيقِ الْحَقْلِ، وَتَحَرَّكُوا فِي اتِّجَاهِ النَّهْرِ. وَعِنْدَمَا انْتَبَهَ هِنْرِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا يَقْصِدُونَهُ، نَظَرَ خَلْفَهُ وَأَخَذَ نَفْسًا عَمِيقًا

مَمْرُوجًا بِالرِّضَى، ثُمَّ وَكَزَّ صَدِيقَهُ وَيَلْسُون، وَقَالَ: «نَحْنُ نُغَادِرُ سَاحَةَ الْقِتَالِ! لَقَدْ انْتَهَتْ
الْمَعْرَكَةُ!»

نَظَرَ وَيَلْسُونُ حُفَّهٗ هُوَ الْآخَرُ، وَقَالَ فِي دَهْشَةٍ: «نَعَمْ، لَقَدْ انْتَهَتْ!»
قَضَى هُنْرِي بَعْضَ الْوَقْتِ لِيَتَكَيَّفَ مَعَ هَذَا التَّغْيِيرِ. صَفَا ذَهْنُهُ تَدْرِيجِيًّا، وَبَدَأَ
يَسْتَوْعِبُ أَيْنَ كَانَ وَمَاذَا يَحْدُثُ. فَهَمَّ أَنْ الْحَرَبَ قَدْ انْتَهَتْ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَرْضٍ تَمْلُؤُهَا
مَعَارِكُ غَرِيبَةٌ، وَأَنَّهُ قَدْ عَادَ. أَدْرَكَ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ مَلِيٍّ بِالِدَّمَاءِ وَمَسْحُونٍ بِمَشَاعِرِ
الْغَضَبِ، وَأَنَّهُ نَجَا. أَوَّلُ شَيْءٍ خَطَرَ فِي بَالِهِ هُوَ أَنْ يَحْتَفَلَ.

لَاحِقًا بَدَأَ هُنْرِي يَتَمَعَّنُ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مِنَ الْإِحْفَاقَاتِ وَالْإِنْجَازَاتِ. شَعَرَ بِالسَّعَادَةِ،
وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى شَيْءٍ. لَمْ يَشَاهِدْهُ الْآخَرُونَ إِلَّا فِي الْمَوَاقِفِ النَّبِيلَةِ. كَانَ سَعِيدًا بِتَذَكُّرِ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ، وَظَلَّ وَقْتًا طَوِيلًا يَسْتَرْجِعُهَا فِي خَيَالِهِ.

كَانَ يَرَى نَفْسَهُ جُنْدِيًّا كُفْنًا، وَتَذَكَّرَ فِي سَعَادَةٍ تَلْقِيقاتِ رِفَاقِهِ عَنْ مَدَى شَجَاعَتِهِ.
لَكِنْ عَاوَدَهُ شَبْحُ هُرُوبِهِ مِنَ الْمَعْرَكَةِ الْأُولَى. كَانَ سَاخِطًا إِلَى حَدِّ مَا بِشَأْنِ مَا حَدَثَ.
وَاللَّحْظَةَ انْتَابَهُ شُعُورٌ بِالْخَجَلِ وَالْخُزْيِ.

ثُمَّ عَاوَدَتْهُ ذِكْرَى الْجُنْدِيِّ ذِي الثِّيَابِ الرَّثَّةِ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ فِي الْحَقْلِ. وَاللَّحْظَةَ أَخَذَ
يَتَصَبَّبُ عِرْقًا عِنْدَمَا فَكَّرَ أَنَّ الْآخَرِينَ قَدْ يَعْرِفُونَ مَا فَعَلَ، فَأَطْلَقَ صَرْخَةً أَلَمَ.

الْتَفَتَ إِلَيْهِ وَيَلْسُونُ، وَسَأَلَهُ: «مَاذَا بِكَ يَا هُنْرِي؟»
لَمْ يَسْتَطِعْ هُنْرِي الرَّدَّ عَلَى صَدِيقِهِ، وَعَمَّغَمَ لِنَفْسِهِ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ.
وَأَنْتَاءً سَيْرِهِ، سَيَّطَرَتِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَصَرَّفَ بِهَا عَلَى فِكْرِهِ، وَأَفْسَدَتْ عَلَيْهِ ذِكْرِيَاتِهِ
الْجَمِيلَةَ. وَمَهْمَا حَاوَلَ أَنْ يُلْهِيَ نَفْسَهُ بِالتَّفَكِيرِ فِي شَيْءٍ آخَرَ، لَاحَقَهُ مَشْهَدُ الْجُنْدِيِّ ذِي
الثِّيَابِ الرَّثَّةِ الَّذِي تَرَكَهُ وَجِيدًا فِي الْحَقْلِ. نَظَرَ هُنْرِي إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَتَيَقَّنَ أَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا
إِلَيْهِ فَسَيَرُونَ نَظْرَةَ الذَّنْبِ فِي وَجْهِهِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ عَنِ النَّصْرِ الْعَظِيمِ
الَّذِي حَقَّقُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ الْآخِرَةِ.

لِفَتْرَةٍ. شَغَلَتْهُ هَذِهِ الذِّكْرَى عَنْ كُلِّ مَظَاهِرِ الْإِحْتِمَالِ. لَقَدْ أَدْرَكَ خَطَأَهُ، وَخَافَ أَنْ
يُرَافِقَهُ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ. تَجَنَّبَ الْحَدِيثَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ وَتَفَادَى النَّظَرَ إِلَيْهِمْ.

لَكِنْ، شَيْئًا فَشَيْئًا اسْتَجْمَعَ هنري القُوَّةَ لِإِلْقَاءِ ذَلِكَ الخَطَأِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَخِيرًا بَدَأَ أَنَّهُ يُفَكِّرُ بِأُسْلُوبٍ مُخْتَلِفٍ. تَذَكَّرَ أُسْلُوبَهُ وَمُعْتَقَدَاتِهِ قَبْلَ المَعْرَكَةِ، وَاکْتَشَفَ أَنَّهُ كَرِهَ هَذَا الأُسْلُوبَ.

وَمَعَ هَذَا الإِكْتِشَافِ، اسْتَعَادَ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ. لَقَدْ شَعَرَ أَنَّهُ أَصْبَحَ بِالفِعْلِ رَجُلًا قَوِيًّا رَابِطَ الجَأْشِ. عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يَنْسَحِبَ مِنْ أَيِّ مَعَارِكِ قَادِمَةٍ. كَانَ قَرِيبًا مِنَ المَوْتِ، وَاکْتَشَفَ فِي النُّهَايَةِ أَنَّهُ مَوْتُ فَحَسِبَ.

وَهَكَذَا تَغَيَّرَتْ رُوحُهُ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنْ سَاحَةِ الدِّمَاءِ وَالغَضَبِ. لَمْ يَعُدْ غَاضِبًا أَوْ خَائِفًا.

أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ، وَوَأَصَلَ الجُنُودُ مَسِيرَتَهُمْ وَسَطَ الأَرْضِ المَوْجِلَةِ. بَدَأَ عَلَيْهِمُ الإنزِعَاجُ وَأَخَذُوا يُعْمِغُمُونَ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ، لَكِنَّ هنري ابْتَسَمَ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ العَالَمَ فِي انْتِظَارِهِ. لَقَدْ تَحَرَّرَ مِنْ مَخَافِيفِ الحُرُوبِ! لَقَدْ انْتَهَى الكَابُوسُ! كَانَ مِثْلَ حَيَوَانٍ يَفْرَعُ أَشَدَّ الفِرْعِ مِنْ أَهْوَالِ الحُرُوبِ وَأَخْطَارِهَا. نَظَرَ هنري حَوْلَهُ إِلَى السَّمَاءِ الجَمِيلَةِ، وَالْمَرَاعِي النَّاصِرَةِ، وَالأنْهَارِ البَارِدَةِ؛ حَيَاةً مِنَ السَّلَامِ الدَّائِمِ.

وَفَوْقَ النَّهْرِ، سَقَطَ شُعَاعُ شَمْسٍ ذَهَبِيٍّ مِنْ بَيْنِ السُّحُبِ المَطِيرَةِ.